١

البارودي

شاعر البطولة والأصالة

قراءة نصية

دكتور

نعمان عبد السميع متولي

دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع
دار الجديد للنشر والتوزيع

متولي ، نعمان عبد السميع.

٩٢٨.١١
م . ن

البارودي شاعر البطولة والأصالة قراءة نصية / نعمان عبد السميع متولي.- ط١.- دسوق: دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع، دار الجديد للنشر والتوزيع.

١٦٠ ص ؛ ١٧.٥ × ٢٤.٥سم .

تدمك : ٩٧٨ _ ٩٧٧ _ ٣٠٨ _ ٧١٠ - ٤

١- الشعراء العرب.
أ - العنوان .

رقم الإيداع : ٢٢٠٧٩

الناشر : دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع
دسوق - شارع الشركات- ميدان المحطة – بجوار البنك الأهلي المركز
هاتف- فاكس : ٠٠٢٠٤٧٢٥٥٠٣٤١ محمول : ٠٠٢٠١٢٧٧٥٥٤٧٢٥-٠٠٢٠١٢٨٥٩٣٢٥٥٣
E-mail: elelm_aleman٢٠١٦@hotmail.com & elelm_aleman@yahoo.com

الناشر : دار الجديد للنشر والتوزيع
تجزءة عزوز عبد الله رقم ٧١ زرالدة الجزائر
هاتف : ٢٤٣٠٨٢٧٨ (٠) ٠٠٢٠١٣
محمول ٦٦١٦٢٣٧٩٧ (٠) ٠٠٢٠١٣ & ٧٧٢١٣٦٣٧٧ (٠) ٠٠٢٠١٣
E-mail: dar_eldjadid@hotmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم
مِّنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَار
خَالِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ .الَّذِينَ
صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ.

(سورة العنكبوت الآية ٥٨-٥٩)

إهداء

إلى حفيدتنا الغالية (روفان) وقد أطلت
على الدنيا بوجهها المشرق الصبوح النديّ ،

داعيا الله أن يحفظها ويرعاها ، وينبتها

نباتا حسنا

محتوى الفهرس

مقدمة

البارودي صاحب السيف والقلم ،ورائد النهضة الشعرية التي عاشها شعرنا العربي في العصر الحديث ، هو موضوع هذا الكتاب نتناول مسيرة حياته ، ونسلط فيه الضوء على ماأبدع من شعر ونخص بعض قصائده بالشرح والتحليل ونورد بعض قصائده اخترناها من ديوانه الضخم الذي يضم تراثا هو الدر بعينه ، في محاولة منا لتعريف الناشئة من أبناء هذا الجيل بمثل هذه الأعلام والقمم التي كان لها الدور الأسمى والقدح المعلى في مسيرة الشعر وتستطيع أن تتبين شخصية البارودي من خلال شعره فكثيرًا ماتحدث فيها عن فروسيته وأمجاده التي حققها ويفتخر بما يملك من حسن الصفات وعراقة الأصل وكرم المحتد ، وهو يشير إلى ذلك في قوله :

فانظر لقولي تجد نفسي مصورة   في صفحتيه فقولي خط تمثالي

وكان مقدورا لشاعرنا أن ينفى إلى سرنديب إثر المؤامرة التي حيكت خيوطها للثائرين الذين ثاروا على ظلم الخديوي وحاشيته ، وقد لقي منهم من الظلم الكثير وكثر حوله من خدعوه وتنكروا له ، يقول :

وَأَقْتَلُ دَاءٍ رُؤْيَةُ الْعَينُ ظَالِمًا يُسِيءُ، وَيُتْلَى فِي الْمَحَافِلِ حَمْدُهُ
أَبَتْ لِي حَمْلَ الضَّيْمِ نَفْسٌ أَبِيَّةٌ وَقَلْبٌ إِذَا سِيمَ الأَذَى شبَّ وَقْدُهُ

وهو في مواضع شتى من ديوان شعره الكبير يشير إلى هؤلاء المخادعين الظالمين المتلونين الذين تعافهم نفسه الأبية التي تأبى الضيم ولاترضى به ، يقول :

أدهى المصائب غدر قبله ثقة وأقبح الظلم صد بعد إقبال

وقد عيي من هؤلاء الختالين ، وملت نفسه لقاءهم والتعامل معهم ، وكان صعبا عليه أن يعمل مع أصحاب هذه النفوس الملوثة ، يقول :

وَأَصْعَبُ ما يَلْقَى الْفَتَى فِي زَمَانِهِ صَحابَةُ مَنْ يَشْفِي مِنَ الدَّاءِ فَقْدُهُ

وكان للحكمة نصيب الأسد في شعره ، فأفردنا لها فصلا خاصا بها لما تمثله من مكون مهم في بنية الشعر عندالبارودي ، كما ضمنا في هذا المؤلف ذكرا لخصائص شعر البارودي وسمات مدرسته الشعرية التي تولى ريادتها والإمساك بزمامها ، آملا أن يجد القارىء في هذا الديوان مايفيد .

والله الموفق والمعين

دكتور / نعمان عبد السميع متولي

الأدب في العصر العثماني

(امتدت فتوحات الدولة العثمانية إلى ثلاث قارات، هى: آسيا وأوروبا وإفريقيا،ومضت جيوشها في زحفها حتى بلغت مشارف فيينا عاصمة النمسا في أواسط أوروبا..

وكان الوجود العثماني: العسكري والسياسي في هذه الأقاليم الأوروبيّة حقيقة واقعة لا مراء فيها)(تاريخ التمدين الإسلامي، جرجي زيدان: ٢٤٦/٤-٢٤٧).

سياسة الدولة العثمانية تجاه الولايات المفتوحة

اتسمت سياسة العثمانيين بالاستعلاء الذي كان أبرزملمح في الخلق العثماني، يستوي فيه السلاطين والأتراك العثمانيون، (ونُظر إلى الشعوب الإسلامية نظرة استعلاء.. فظلت الشعوب الأوروبية التي خضعت للعثمانيين محافظة على لغاتها وثقافتها، وعاداتها وتقاليدها، ودياناتها فى الأعم الأغلب، وغير ذلك من مقومات حضاراتها، ومن هنا كان الأثر الحضاري للعثمانيين في تلك الشعوب الأوروبية قليلا للغاية،كما كانت الشعوب الأوروبية لا تدين لهم ثقافيا أو حضاريا

(الدولـة العثمانيـة دولـة إسـلامية: ١/ ٣٢١: ٣٢٣) فقد حـال هذا الاستعلاء الذي تعددت مظـاهره دون قيـام تقـارب بـين الحكـام والمحكومين.. وقنعت الدولة بالجزية السنوية تُرسل إليها من كل ولاية ما عدا إقليم الحجاز وبذكر اسم السلطان مقرونًا بالدعاء لـه علـى منـابر المسـاجد فـي خطـب أيـام الجمـع والأعيـاد؛ وبالعملـة تضـرب باسمه؛ وبوالٍ عثماني نائبًا عن السلطان في كل ولايـة، وهـو يحمـل رتبـة الباشـوية أو البكويـة.. وبقـوة عسـكرية عثمانيـة تـرابط فــي الـبلاد، ويطلــق عليهــا أهـلُ الولايــة اسـم «الحاميـة العثمانيــة» وكــان حصــاد هــذه السياســة أن احتفظــت الشــعوب الإسلامية، وهي في ظل الحكم العثماني بلغاتها وثقافتها، وعاداتها وتقاليدها، (المرجع السابق: ١ / ٣٢٥: ٣٢٧) .

(أمــا الآداب العربيــة علــى الإجمــال فأصــبحت فــي أحّــط أدوارها.. وقد أصاب الشعر مـا أصـاب سـائر الآداب العربيـة فـي هذا العصـر، فاستولى الجمود على القرائح... كان هذا العصر من الوجهــة الثقافيــة عصــر جمــود وعقــم)(مطالعــات فــي الشــعر المملوكي والعثماني: ص ٩٣- ٩٤، ١٤٩).

ومـع ذلـك ؛ فمـن الإنصـاف القـول أن الأدب فـي العصـر العثمــاني كغيـره مـن العصـور فيـه الغـث، وفيـه السـمين ،لكـن الضعف الأدبي كان ملموسا في أدب هذا العصـر ، وهذا لايمنـع من وجود بعض الأصوات الشعرية والأدبيـة الجـادة، لكنهـا قليلـة بل قل نادرة ، وحقيقة الأمر أن الدولـة العثمانيـة لم تحـارب اللغـة العربية، لأنها لغة القرآن ولها المعزة والمكانة العالية في النفوس لذلك حافظت العربية على مكانتها الدينية رغم أنها فقدت مكانتها الإدارية.

ولعل أكبر خطأ ثقافي للعثمانيين في مصر أنهم لم يهتموا ببناء المدارس فقل عددها ، وقلّ مستخدمو الأدب الفصيح في خطابهم الأدبي ، وترتب عليه أن ظلت الثقافة بوجه عام ، والأدب بوجه خاص في حالة من التردي ، كما أن الدولة العثمانية لم يكن لها قدرة ثقافية لوقف هذا الانحدار، لأن فاقد الشيء لا يعطيه؛ (فالدولة العثمانية وهى في أوج قوتها العسكرية كانت تخلو من أية قامات ثقافية كبرى، وكان محمد الفاتح يشكو من أن دولته تخلو من علماء يمكن مقارنتهم بعلماء الدول، ولاشك أن الحكم العثماني – في اعتقادي - كان على علم بحالته الثقافية المتدنية، وبأنه لا تتوفر له المقومات اللازمة لإحداث أي نهضة ثقافية، وربما لم يكن يؤمن بقدرته على وقف التدهور الثقافي الذي بدأ منذ فترة طويلة.

وكانت نتيجة ذلك أن تدهورالأدب الفصيح ولم يعد له مريدوه ومؤيدوه ، ودليل ذلك أنه وجد في هذا العصر شعراء كثيرون وردت ترجمتهم في (بدائع الزهور) لابن إياس وتناولهم الجبرتي في (عجائب الآثار) ، ولكن المتميزين المجيدين منهم كانوا ندرة بحيث يعدون على أصابع اليد الواحدة ، فكان منهم : الشاعر محمد البكري ، والشهاب الخفاجي وعبد الله الإدكاوي وقاسم بن عطاء الله المصري ، وكان أبرزهم الشاعر عبدالله الشبراوي المتوفى سنة ١١٧١هـ و الذي يقول عنه شوقي ضيف: (وواضح أن صياغة الشبراوي جيدة وفي شعره وشعر أمثاله من المعاصرين له ما يدل على أن الشعر كانت لا تزال فيه بقية من حيوية وحياة)(عصر الدول والإمارات: مصر والشام/ ٢١٩)

وهذا نموذج لتلك الأصوات الجادة النادرة وسط موجات الضعف التي كان عليها أدب ذلك العصر ، يقول الشاعر عبد الله الشبراوي ، وهو من علماء الأزهر آنذاك :

أعد ذكر مصر إن قلبي مولع … بمصر ومن لي أن ترى مقلتي مصرا

وكرِّرْ على سمعي أحاديثَ نيلها … فقد ردتْ الأمواج سائله نهرا

رويدا إذا حدثتني عن ربوعها … فتطويل أخبار الهوى لذة أخرى

بلاد بها مد السماح جناحه … وأظهر فيها المجد آيته الكبرى

عسى نحوها يلوي الزمان مطيتي … وأشهد بعد الكسر من نيلها جبرا

لقتد كان لي فيها معاهد لذة … تقضَّتْ وأبقتْ بعدها أنفسا حسرى

أحنُّ إلى تلك المعاهد كلما … يُجدِّدُ لي مرُّ النسيم بها ذِكرى

رعى الله مرعاها وحيَّا رياضها … وصبَّ على أرجائها المُزن والقطرا

يذكرني ريح الصَّبَا لذة الصِّبَا … بروضتها الغنا وقد تنفع الذكرى

على نيلها شوقا أصبُّ مدامعي … وأصبو إلى غدران روضتها الغرا

كساها مديد النيل ثوبا معصفرا … وألبسها من بعده حلة زهرا

وصافح أغصان الرياض فأصبحت … تمد له كفا وتهدي له زهرا

وأودع في أجفان منتزهاتها … نسيما إذا وافاه ذو علة يبرا

وإن حدثوني عن فرات ودجلة … وجدت النيل أحلى وإن مرا

سأعرض عن ذكر البلاد وأهلها … وأروي بماء النيل مهجتي الحرَّا

وكم لي إلى مجرى الخليج التفاتة … يسيل بها دمعي على ذلك المَجْرَى

وكم قلت للقلب الولوع بذكرها تصبَّرْ فقال القلب لم أستطع صبرا

لئن كنتُ مشغوفا بمصر فليس لي بها حاجة إلا لقاءَ بني الزهرا

أجلُّ بني الدنيا وأشرف أهلها وأنداهمُ كفا وأعلاهم قدرا

هم القوم إنْ قابلتَ نورَ وجوههم رأيتَ وجوها تُخْجِلُ الشمسَ والبدرا

وإنْ سمعتْ أذناك حسنَ صنيعِهم وجئتَ حماهم صدَّقَ الخبرُ الخبرا

لهم أوجهٌ نورُ النبوة زانها بلطف سرى فيهم فسبحان من أسرى

هم النعمة العظمى لأمَّة جدهم فيا فوز من كانوا له في غد ذخرا

إذا فاخرتْ بهم عصبة قرشية فجدهم المختار حسبهم فخرا

ملوك على التحقيق ليس لغيرهم سوى الاسم وانظر تجدهم به أحرى

****

وماعدا هؤلاء الشعراء تستطيع أن تلمس في الشعر العثماني التكلف والصنعة واستخدام المحسنات اللفظية ، وتتبين في وضوح مدى الضعف وفساد الذوق ، ونظرا لنضوب القرائح فقد شاع في تلك الفترة :

- شعر الألغاز والأحاجي
- التأريخ الشعري ، كقول الشاعر يؤرخ لتاريخ فيضان النيل :

النيل أوفي في توت حادي وعاشر   وعلى الله جبر الخواطر

- نظم العلوم أو مايسمى بالشعر التعليمي مثل(الدرة البهية في نظم الأجرومية للعمريطي)
- شيوع الشعر العامي كالملاحم والسير الشعبية مثل : السيرة الهلالية ، والأميرة ذات الهمة وسيف بن ذي يزن .
- انصرف هم الشعراء إلى التشطير (وهو أن يضيف الشاعر إلى كل شطر من أبيات قصيدة أعجب بها شطراً من عنده)
- كما شاع بين الشعراء فن الترقيط (وهو أن تشتمل قصيدته على كلمات كل كلمة فيها مبدوءة بحرف من حروف الهجاء) ، مثل قول الشيخ على الدرويش توفى ١٨٥٣ م.

عليّ على عينيك عذل عواذلي عذاب عليها عند عاشقها عذب
عذارك عذري عجب عطفك عدتي عيونك عصبي عاد عائبها عضب

فكل كلمة من هذين البيتين مبدوءة بحرف العين.

النهضة الأدبية

بعد ضعف الدولة العثمانية وهزالها طمعت فيها الدول الغربية ، وتحالفت ضدها واستطاعت هزيمتها في مواقع كثيرة جعل العثمانيين يفقدون أجزاء مملكتهم جزءا تلو الآخر حتى انقضت عليها الدول الأوربية واستولت على بلاد الشرق وتقاسمتها فيما بينها ، فاحتلت بريطانيا بعض الدول العربية كمصر والسودان والعراق ، وفرضت سيطرتها عليها كما احتلت فرنسا بلاد الشام والمغرب العربي وفرضت سيطرتها عليها ، كما احتلت إيطاليا ليبيا وظل الوطن العربي يعاني من ها الاستعمار الأوروبي الذي نهب ثروات العرب وأدى إلى تخلفهم في شتى المجالات : السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، إلا أن العرب أفاقوا من غفوتهم مع مطلع العصر الحديث وبعد صراع مرير مع المستعمرين نالت الدول العربية استقلالها دولة تلو الأخرى.

وصحب استقلال هذه الشعوب العربية اتصال الشرق العربي بأوربا ، التي كانت قد بلغت شأوا بعيداً في التقدم العلمي ، وأحرزت نتائج باهرة في مختلف العلوم ، وكان لهذا الاتصال أثر واضح فى نهضة

البلاد العربية ، فمنذ سنة ١٧٩٧م ، التي يعتبرها مؤرخو الأدب الحديث البداية الحقيقية في تلك السنة حيث دخل نابليون مصرواصطحب معه في حملته العسكرية جماعة من العلماء في تخصصات مختلفة ، فأنشأ مجمعاً علميا ، وأحضر معه مطبعة عربية كان يطبع بها المنشورات والتعليمات التي يريد إيصالها إلى الشعب المصري ، ولم تكن مصر تعرف الطباعة قبل ذلك،على الرغم من أن نابليون وعلماءه لم يمكثوا في مصر أكثر من ثلاث سنوات فقد كان لتلك السنوات الثلاث أثر بليغ في الثقافة العربية والأدب العربي لأن ذلك اللقاء بين الشرق وأوربا قد بعث في الشرق روح التحدي والتصدي لما طرد المصريون نابليون من مصر سنة ١٨٠١م

ولمّا توَلّى محمد على عرش مصر سنة ١٨٠٥م فكر في إنشاء دولة حديثة واستعان بما وصلت إليه أوربا من تقدم في العلوم والفنون والآداب ،ومعلوم أنه – محمد علي – كان يهدف إلى إنشاء دولة حديثة قوية ليتوارثها أولاده وأحفاده من بعده ، ومع ذلك فقد كانت تلك تباشير النهضة الحديثة ، ومن ثم وضعت بذور النهضة ، وتجمعت عدة

عوامل أدت إلى نهضة الأدب العربي الحديث والتي كانت بدايته هنا من مصر ، وهذه العوامل هي :

- تسيير البعثات العلمية إلى أوربا

ففي عام ١٨٢٦م أرسل محمد على أربعة وأربعين طالبا من الشباب المصريين النابغين إلى فرنسا ليتقنوا اللغة الفرنسية من ناحية ويتخصصوا في العلوم المختلفة : الطبيعة ، والكيمياء والأحياء ، والعلوم البحرية ، والميكانيكا والترجمة والطب والجراحة والتشريح ، وكانت هذه البعثة بمثابة اللقاء الأول بين المصريين وبين الثقافة الغربية.

وآتت البعثة ثمارها وأكلها فقد عاد هؤلاء المبعوثون بزاد ثقافي جديد ، وعقلية متفتحة أنضجهاالاتصال المباشر بالحضارة الغربية ، وعرفوا أشياء ماكان لهم أن يعرفوها بغير هذه البعثات، فقدموا لوطنهم مصر خدمات أبرزها :

- القيام بترجمة كثير من علوم أوربا إلى اللغة العربية ؛ فأتاحوا لكثير من الدارسين الاطلاع على هذا الزاد الثقافي الذي تضمه هذه المترجمات .

- قام كثير من المبعوثين بتأليف كتب باللغة العربية في العلوم والآداب فأثروا اللغة بما زودوها به من أفكار ومصطلحات حديثة.
- يرجع إليهم الفضل في تحفيز كثير من الدارسين في السفر والذهاب في مثل هذه البعثات .

ظهور الطباعة:-

عرف الشرق العربي المطبعة حين ظهرت في لبنان ، وكانت قاصرة آنذاك على طباعة الكتب الدينية .

ولما جاء نابليون بحملته العسكرية إلى مصر استقدم معه مطبعة بغرض خدمة حملته العسكرية ، وأدت هذا الدور المنوط بها حتى أجلت حملة نابليون الاستعمارية على مصر .

وبعد رحيل الحملة الفرنسية عن مصر وتولي محمد علي الحكم أنشأ أول مطبعة عربية في مصر سنة ١٨٢١م في حيّ بولاق وعرفت باسم مطبعة بولاق، والتي كان لها تأثرها الواضح في النهضة الأدبية المعاصرة حيث قامت بما يلي :

- طباعة أمهات كتب الأدب العربي شعرًا ونثرًا ، وطبعت المئات من الكتب العربية فى الطب والرياضيات والطبيعيات ، والتاريخ والتفسير والحديث- يسرت تداول الكتب فأقبل الناس على ماطبع من كتب الأدب ودواوين الشعر يقرءونها ، ويحفظون مافيها .
- شجعت الدارسين والعلماء على طباعة كتبهم ومؤلفاتهم
- ساعدت على حفظ كتب التراث والتاريخ والمراجع العلمية الثمينة .
- أوجدت مناخا ثقافيا لم يعهده المصريون من قبل .
- أدى إنشاء المطبعة إلى ظهور لون جديد من ألوان القراءة هو الصحيفة التي لم تكن معروفة في الثقافة العربية من قبل.

ظهور الصحافة:

كانت أول صحيفة ظهرت في الوطن العربي سنة ١٨٢٨م في عهد محمد علي (الوقائع المصرية) وهي صحيفة تعني بشئون البلاد ، تولى رئاسة تحريرها رفاعة رافع الطهطاوي ، وهو عالم أزهري من

أوائل الطلاب النابغين الذين ذهبوا مع أول بعثة إلى فرنسا ليكون إمامًا لها في الصلاة ومرجعًا لها في شعائرها الدينية الأخرى ، فاستغل وقت فراغه في تعلم اللغة الفرنسية وتعلمها وأتقنها ، وقرأ بها كثيرًا في السياسة والتاريخ والجغرافيا والأدب الفرنسي شعرًا ونثرًا ، فأضاف إلى ثقافته الأصلية ثقافة غربية ، توفى سنة ١٨٧٣م ، وأحدث ظهور الصحافة تأثيرا بالغا وساهم في نهضة الأدب بما كان فيها من فوائد جمة أبرزها :

- ساهمت الصحافة في صقل وتهذيب لغة النثر ، ونقلته من المحسنات البديعية من سجع وجناس وطباق ، إلى نثر مرسل متحررمن قيود الصنعة البديعية المتكلفة .
- جنحت بأسلوب الكتابة نحو الإيجاز والسهولة لأن قراء الصحف لا يسيغون التقعر والإغراب في اللغة.

- إنشاء الجمعيات العلمية والأدبية

- أنشئت أول هذه الجمعيات في سوريا ١٨٤٧م ، وكان هدفها الارتقاء بالعلوم ونشر الفنون والآداب.
- وأنشئت في مصر جمعية اسمها (جمعية المعارف) فقامت بطبع طائفة من الكتب الأدبية والتاريخية والفقهية .
- وظهرت جمعية أخرى أطلق عليها (جمعية التعريب) وكان هدفها ترجمة الكتب الأجنبية في الاقتصاد والاجتماع.

ولاشك أنه كان لهذه الجمعيات الأدبية والعلمية الأثر الكبير في النهضة الأدبية بما قدمت من خدمات لأعضائها وروادها.

- التوسع في إنشاء المدارس الحديثة

كانت منظومة التعليم ، فيما مضى ، محدودة تتمثل في الكتاتيب ، والمدارس الأولية التي تعين على حفظ القرآن الكريم ، وتعلم مبادئ القراءة والكتابة والحساب ، بالإضافة إلى المعاهد الدينية التي تهتم بتعليم مبادىء الدين وتفسيرالقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف وتعليم العربية نحوا وصرفًا وبلاغة ولغة وأدبًا ، مع شيء قليل من العلوم والرياضيات .

وعلى غرار المدارس الغربية المتقدمة أنشئت المدارس الحديثة على نمط المدارس الأوربية التي تعلم اللغات والعلوم الحديثة كالرياضيات

والجغرافيا والأحياء والكيمياء والطبيعة ، فكان لهذه المدارس أثر بالغ في نهضة الأدب تمثل في ما يلي :

- ظهور جيل واع من الدارسين يؤمن بأهمية العلم والثقافة والأخذ بزمام التقدم والنهوض.

- فتح قنوات الاتصال على منابع العلم أينما وجدت .
- أصبحت هذه المدارس نافذة لنشر الوعي الثقافي في البيئة المحيطة بها .

ظهور المسرح:

ظهر المسرح لأول مرة مع غزو نابليون لمصر ؛ فكان ذلك شيئًا جديدًا فى الشرق ، وفي أول عهده اعتمد على نصوص مسرحية مترجمة، حيث قام عدد من الأدباء بترجمة

بعض المسرحيات من الفرنسية إلى اللغة العربية مما أضاف رافدًا جديدًا إلى الأدب العربي.

- المستشرقون:

هم جماعة من علماء من أوربا وأمريكا وروسيا ، تخصصوا في دراسة الشرق وتاريخه وآدابه ودياناته ولغاته ، وكان لهم دور كبير في نهضة الأدب وقاموا بجهود كثيرة منها :

- دراسته دراسة عميقة– قاموا بدراسة آداب العربية دراسة عميقة مبنية على أسس من مناهج البحث العلمي .
- جمعوا كثيرًا من الكتب المخطوطة وقاموا بدراستها وتصحيحها وطبعها فى صورة جميلة.
- ساهموا في نشر كثير من دواوين الشعراء وكتب الأدب ، وقاموا بتدقيقها وتصحيحها .
- يسروا للأدباء والشعراء الاطلاع على هذه الكتب المصححة فنهلوا مما فيها من نثر وشعر وماتضم من بلاغة وجمال.

مراحل تطور الأدب العربي

الحديث:

أولاً : الشعر

مر الشعر العربي المعاصر بثلاثة أطوار:-

الطور الأول :

طور الاضمحلال و الضعف:

بدأ فيه الشعر هزيلاً ضعيفًا فى لغتة ، هشاً سطحياً في فكرته، ركيكًا ضعيفًا فى شكله ومضمونه .

ففي شكله وصياغته كان مثقلاً ينوء بألوان مختلفة من المحسنات اللفظية المتكلفة ، يقول د: شوقي ضيف : (اقرأ دواوين الشعراء الذين عاصروا محمد على وعباسًا الأول وسعيدًا من مثل إسماعيل الخشاب ، والشيخ حسن العطار ، والشيخ محمد شهاب الدين ، فلن تجد سوى صور لفظية قد تدثرت بثياب غليظة من محسنات البديع ولن تجد شعورًا ولا عاطفة، لقد تبلدت الحياة ، فجمد الشعر والشعراء ولم يعد هناك إلاَّ التقليد فقد أصبح الشعر حسابًا وأرقامًا وتمارين هندسية عسيرة الحل).

وذلك بعد ظهور عوامل النهضة وما أحدثته من تأثير في نفوس الأدباء والشعراء وفى عقولهم فضلا عن دور الطباعة وأثرها ، فقد طبعت كثير من دواوين الشعراء ومصادرالأدب التي ألفت في العصر العباسي أمثال:

كتب الجاحظ والجرجاني وابن المقفع والأمالي لأبي عليي القالي وغيرها ، فضلا عما عاد به المبعوثون بزاد ثقافي جديد من أوربا ، بعد أن اطلعوا على ألوان وأجناس من الأدب لم تكن معروفة في الأدب العربي، كالذي فعله (رفاعة الطهطاوي) المتوفى سنة ١٨٧٣م وعائشة التيمورية التي توفيت سنة ١٩٠٢م.

وفي هذا الطور لم يتخلص الشعراء والأدباء تمامًا من سمات الشعر الركيك المليء بالمحسنات والتخميسات والتشطيرات ، إنما تم التخلص رويدا رويدا .

فصرت تجد في أشعار بعض شعراء هذا الطور آثار تلك النهضة، ففي شعر الطهطاوي– وهو من شعراء هذه الفترة - تجد روح التجديد ملموسة في الشكل والمضمون ، حيث كتب نوعا جديدا هو الشعر الوطني بمفهومه السياسي والحضاري ، يقول :

ولئن حلفت بأن مصر لجنة   وقطوفها للفائزين دواني
والنيل كوثرها الشهي شرابه   لأبركل البر في أيماني

الطور الثالث :

طور الازدهار و التجديد

وفيه تخلص الشعر تمامًا من قيود المحسنات البديعة وانتقل من الضعف والركاكة إلى المتانة والجزالة كما قال العقاد ، وظهر جيل جديد متحرر مبدع تبرز في شعره ثقافة العصر وملامح الرقي والتطوير ورأى أدباء هذا الطور أن التجديد يبدأ من العودة إلى الثقافة العربية الأصلية التي كانت المطبعة قد أخذت تقذف بها إلى القراء ، فقد طبعت دواوين الشعراء وكتب الأدب في المشرق وفى الأندلس فبرز في هذا الطور شعراء أفذاذ تميز شعرهم بالبيان الناصع والمحافظة على النمط العربي الأصيل الذي كان يمثله شعراء العربية الكبار أمثال المتنبي والبحتري

والشريف الرضي وأبي تمام وابن زيدون وغيرهم،ومن كبار شعراء هذا الطور :

- الشيخ ناصيف اليازجي المتوفى سنة ١٨٧١م .
- وإبراهيم بن علي الأحدب المتوفي سنة ١٨٩١م فى لبنان .
- ومحمود سامي البارودي المتوفي سنة ١٩٠٤م في مصر لقد عني هؤلاء الشعراء عناية خاصة بالتزام جزالة اللفظ ، ورقة المعنى ودقة التعبير ، وعذوبة الموسيقا .

وكان لكتاب "الوسيلة الأدبية" للشيخ (حسين بن أحمد المرصفي) توفى سنة ١٨٨٩م أثر واضح في شعراء هذا الطور بما قدم للشعراء من نماذج شعرية رفيعة ، وبما تناول من شعر البارودي بالتحليل والإشادة ، فهيأ بذلك أذهان الشعراء للاتجاه

المحافظ البياني الجديد الذي انتهجه الشاعر محمود سامي البارودي وبعث به الشعر العربي من رقدته في العصر السابق ورده إلى أصالته وروعته البيانية المشرقة، وحديث الشاعر عن نفسه وما يضطرب فيها من أحاسيس وخواطر وما تزخر به من تجارب ، وإلى الاهتمام بقضايا أمته ، وإلى ما يدور حوله.

سيطر الاتجاه المحافظ البياني على الحياة الأدبية في الوطن العربي كله سيطرة تامة ، وحظي بإقبال الشعراء وانتمائهم إليه لما فيه من رقي واعتزاز بأصالة الشعر ورده إلى عصور القوة والازدهار ، حتى إن الجيل الذي جاء بعد البارودي من أمثال: أحمد شوقي وحافظ إبراهيم ومحمد عبد المطلب فى مصر ، وخليل مطران في الشام ومعروف الرصافي وجميل صدقي الزهاوي فى العراق ساروا على طريقة البارودي ونهجه .

ثانياً : النثر :

أحدثت عوامل النهضة تأثيرها ، وآتت ثمارها وأكلهافي الشعر العربي وفي النثر شيئًا فشيئًا وقد مرالنثر أيضا بمراحل ثلاث هي:

المرحلة الأولى :

مرحلة الضعف والتخلف

ففي النصف الأول من القرن التاسع عشر كان النثر من حيث الصياغة ضعيفًا تقليديًا يرسف فى أغلال السجع والجناس والطباق والتورية، وتغلفه الصنعة والتكلف.

وكانت الموضوعات تقليدية تدور حول الإخوانيات من تهنئة واعتذار ومدح ورثاء ولم يكن الكاتب يعبر عن مشاعره الخاصة ،ولا عما يجول في خاطره من عواطف وأحاسيس.

ومما أعان على حالة الضعف وتأصيلها أن الحكام الأتراك كانوا بعيدين عن اللغة العربية وآدابها لا يفهمونها ولا يتذوقونها ، بل تعصبوا ضدها ، وفرضوا لغتهم فرضًا ومن نماذج النثر في هذه المرحلة رسالة وجهها الشيخ على أبو النصر المتوفى سنة١٨٨١م إلى أحد أصدقائه يقول:

(إن أبهى ما تسر به نفوس الأحبة ، وأبهج ما يستضاء بنوره في دياجي المحبة ، دون ما رسمه يراع المشوق ، وأبدعه مما يحسن ويروق ، تشوقاً إلى اقتطاف ثمرات المسامرة ، وتشوقًا إلى أبيات بمحاسن البديع عامرة) والنص – كما ترى – مكتظ بألوان البديع المتكلف .

المرحلة الثانية :

الانتقال من الضعف إلى القوة

عودة المبعوثين من أوربا ، وطباعة كتب التراث شعرًا ونثرًا ، ونشرها ، وإقبال الأدباء عليها ، كلها عوامل ساعدت النثر على

التخلص من قيوده التي كبلته والنهوض من كبوته فظهرت آثار ذلك في كتابات بعض الأدباء ، ومن نماذج النثر في فترة الانتقال نموذج من كتابات عبد الله فكري يقول:

" لابد أن كل من عرف التمدن ، وشَمَّ عرف التفنن ، وأخذ بنصيب من الفهم والتفطن كان أحب شيء إليه ، وأحب أمر لديه أن يكون مطلعًا على وقائع مصره، عارفًا بما تجدد بين بني عصره من حوادث الزمان ، وعجائب عالم الإمكان".

المرحلة الثالثة :

مرحلة الازدهار والتجديد

في هذه المرحلة استوى النثر على عوده وارتقى مدارج التجديد والازدهار ، فقد تخلص من أغلال الصنعة والتكلف ، وتنوعت موضوعاته وتعددت أغراضه ، ويرجع الفضل في ذلك إلى ظهور الصحافة والطباعة ؛ ذلك لأن الكتابة الصحفية تقتضي السهولة والتحرر من أثقال الصنعة إلاَّ ماجاء عفو الخاطر ، كالذي نجده في نثر الشيخ رفاعة الطهطاوي ، والشيخ محمد عبده والشيخ حسن العطار وأحمد فارس الشدياق.

البارودي

هو اللواء محمود سامي بن حسن حسين بن عبد الله البارودي المصري شاعر مصري وهو أحد زعماء الثورة العرابية ، تولى وزارة الحربية ثم رئاسة الوزراء باختيار الثوار له .

يعده النقاد ومؤرخو الأدب رائد مدرسة الإحياءوالبعث أو الاتجاه المحافظ البياني في الشعر العربي الحديث كما يسميه البعض ، وباعث الشعر العربي من عصور الضعف إلى عصر القوة والأصالة والإبداع ، فانتقل به من الجمود والركاكة والتقليد إلى جودة الصياغة وجزالة اللفظ ورقة المعنى ووضوح العبارة وجمال الصياغة وعذوبة الموسيقا،فهو رائد الشعر العربي الحديث الذي جدّد في القصيدة العربية شكلاً ومضمونًا.

مولده ونشأته:

ولد في ٢٧ رجب ١٢٥٥ هـ / ٦ أكتوبر ١٨٣٩ م في مدينة دمنهور البحيره لأبوين من أصل شركسي وكان أجداده ملتزمي إقطاعية إيتاي البارود بمحافظة البحيرة والقائمين بجمع الضرائب من أهلها .

نشأ البارودي في أسرة ثرية ميسورة لها قدر من الجاه والسلطان، فأبوه كان ضابطا في الجيش المصري برتبة لواء وعُين مديرا لمدينتي بربر ودنقلة في السودان ومات هناك وكان محمود سامي حينئذ في السابعة من عمره . تلقى البارودي دروسه الأولى فتعلم القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم وتعلم مبادئ النحو والصرف ودرس شيئا من الفقه والتاريخ والحساب ، حتى أتم دراسته الابتدائية عام ١٢٦٧ هـ/ ١٨٥١م ، في مدرسة المبتديان وكانت خاصة بالأسر المرموقة وأبناء الطبقة العليا آنذاك ،كما أن والدته – كعادة أبناء الأكابر- قد جلبت له المعلمين لتعليمه في البيت ، ثم انضم وهو في الثانية عشرة من عمره إلى المدرسة الحربية سنة ١٢٦٨ ه / ١٨٥٢ م ، والتحق بالمرحلة التجهيزية من المدرسة الحربية وانتظم فيها يدرس فنون الحرب، وعلوم الدين واللغة والحساب والجبر

شغف الشاب محمود سامي البارودي بالشعر العربي وكبار الشعراء منذ سن مبكرة حتى أتم دراسته وتخرج في المدرسة المفروزة عام ١٨٥٥ م برتبة "باشجاويش" والتحق بالجيش السلطاني .

حياته العملية :

عمل بوزارة الخارجية وسافر إلى الأستانة عام ١٨٥٧م وتمكن أثناء إقامته هناك من إتقان التركية والفارسية ومطالعة آدابهما وحفظ كثيرًا من أشعارهما وأعانته إجادته للغة التركية والفارسية على الالتحاق بقلم كتابة السر بنظارة الخارجية التركية وظل هناك نحو سبع سنوات ثم ألحق بحاشية الخديوي إسماعيل ، فعاد إلى مصر في فبراير ١٨٦٣م ، عينه الخديوي إسماعيل معينًا لأحمد خيري باشا على إدارة المكاتبات بين مصر والأستانة العثمانية بمصر في حربها ضد روسيا ورومانيا وبلغاريا والصرب ، كان البارودي ضمن قادة الحملة الضخمة التي بعثتها مصر ونزلت الحملة في "وارنة" أحد ثغور البحر الأسود وحاربت في أوكرانيا ببسالة وشجاعة ، غير أن الهزيمة لحقت بالعثمانيين وألجأتهم إلى عقد معاهدة "سان استفانوا" في مارس ١٨٧٨م ، وعادت الحملة إلى مصر وكان الإنعام على البارودي برتبة "اللواء" والوسام المجيدي من الدرجة الثالثة ونيشان الشرف ؛ لِمَا قدمه من ضروب الشجاعة وألوان البطولة .

شارك مع أحمد عرابي في ثورة ١٨٨١ م ضد الخديوي توفيق ، وكان أحد أبطالها، وقد أسندت إليه رئاسة الوزارة الوطنية في ٤ فبراير ١٨٨٢ م حتى ٢٦ مايو ١٨٨٢م ، بعد سلسلة من أعمال الكفاح والنضال ضد فساد الحكم وضد الاحتلال الإنجليزي لمصر عام ١٨٨٢م وقررت السلطات الحاكمة نفيه مع زعماء الثورة العرابية في ٣ ديسمبر عام ١٨٨٢ إلى جزيرة سرنديب (سريلانكا) ، ليقضي في منفاه سبعة عشر عاما ، ضعف خلالها بصره ، حتى أفرج عنه وعاد بعدها إلى مصر ليقضي بقية أيامه حتى وفاته .

حياته في المنفى :

ظل في المنفى بمدينة كولومبو أكثر من سبعة عشر عاماً يعاني الوحدة والمرض والغربة عن وطنه ، فسجّل كل ذلك في شعره النابع من ألمه وحنينه وفي المنفى شغل البارودي نفسه بتعلم الإنجليزية حتى أتقنها وانصرف إلى تعليم أهل الجزيرة اللغة العربية ليعرفوا لغة دينهم الحنيف وإلى اعتلاء المنابر في مساجد المدينة ليُفقّه أهلها شعائر الإسلام وطوال هذه الفترة قال قصائده الخالدة ، التي يسكب فيها آلامه

وحنينه إلى الوطن ويرثي من مات من أهله وأحبابه وأصدقائه ويتذكر أيام شبابه ولهوه وما آل إليه حاله ،ومضت به أيامه في المنفى ثقيلة واجتمعت عليه علل الأمراض وفقدان الأهل والأحباب ، فساءت صحته ، بعد أن بلغ الستين من عمره اشتدت عليه وطأة المرض وضعف بصره فقرر عودته إلى وطنه مصر للعلاج ، فعاد إلى مصر يوم ١٢ سبتمبر ١٨٩٩م وكانت فرحته غامرة بعودته إلى الوطن وأنشد أنشودة العودة التي قال في مستهلها :

أبابلُ رأي العين أم هذه مصرُ فإني أرى فيها عيونًا هي السحرُ

وفاته:

بعد عودته إلى القاهرة ترك العمل السياسي وفتح بيته للأدباء والشعراء ، يستمع إليهم ويسمعون منه وكان على رأسهم شوقي وحافظ ومطران وإسماعيل صبري وقد تأثروا به ونسجوا على منواله ، فخطوا بالشعر خطوات واسعة وأُطلق عليهم "مدرسة النهضة" أو "مدرسة الإحياء والبعث" أو الاتجاه المحافظ الباني، توفي البارودي في ١٢ ديسمبر ١٩٠٤م بعد سلسلة من الكفاح والنضال من أجل استقلال مصر وحريتها وعزتها .

من آثاره :

ترك البارودي للمكتبة العربية تراثا ثمينا ضخما استفادت منه الأجيال من بعده ، فقد ترك لنا:

- ديوان شعر في جزئين- مجموعات شعرية سُميّت مختارات البارودي، جمع فيها مقتطفات لثلاثين شاعرا من الشعر العبّاسي.
- مختارات من النثر تُسمّى قيد الأوابد.
- نظم البارودي مطولة في مدح الرسول عليه الصلاة والسلام ، تقع في أربعمائة وسبعة وأربعين بيتا وقد جارى فيها قصيدة البوصيري البردة ، قافية ووزنا وسماها ، كشف الغمّة في مدح سيّد الأمة ومطلعها :
- يا رائد البرق يمّم دارة العلم واحْد الغَمام إلى حي بذي سلم

مؤلفات عن محمود سامي البارودي :

- البارودي حياته وشعره، نفوسة زكريا القاهرة ١٩٩٢.
- مختارات من شعر محمود سامي البارودي السماح عبد الله ، مكتبة الأسرة ، القاهرة ٢٠٠٥. - محمود سامي البارودي شاعر النهضة ، علي الحديدي- مكتبة الأنجلو المصرية- القاهرة ١٩٦٩.

– البارودي رائد الشعر الحديث شوقي ضيف– دار المعارف – القاهرة ١٩٨٨م.
- شعراء النهضة العربية ، الشاعرمحمود سامي البارودي ، تأليف السيد فالح الحجية / بناء الجملة في شعر البارودي ،إسماعيل مزهر – رسالة ماجستير، ٢٠١٠م.

قراءة نصية

قصيدة (وداع وطن)

١

محا البينُ ما أبقتْ عيون المها مني … فشِبتُ ولم أقضِ اللّبانة من سني

عناءٌ ويأسٌ واشتياقٌ وغربةٌ … ألا ، شدَّ ما ألقاه في الدهر من غبنِ

فإن ألكُ فارقتُ الديار فلي بها … فُؤادٌ أضلتْهُ عيون المها مِني

بعثتُ به يوم النوى إثرَ لَحْظَةٍ … فأوقعه المِقدارُ في شَرَكِ الحُسنِ

فهل من فتى في الدهر يجمع بيننا … فليس كِلانا عن أخيه بمستغنِ

****

٢

ولما وقفنا لِلوَدَاع ، وأسبَلتْ … مدامعنا فوق الترائب كالمزن

أهبتُ بصبري أن يعودَ ، فعزني … وناديت حلمي أن يثوب فلم يُغنِ

ولمْ تَمضِ إلا خَطْرَةٌ ، ثم أقلعت … بنا عن شطوط الحي أجنِحةُ السُّفنِ

فكم مُهجةٍ من زَفرَةِ الوجدِ في لظى … وكم مُقلَةٍ مِنْ غزرة الدمع في دَجْنِ

وما كنتُ جربتُ النوى قبل هذه … فلما دهتني كِدتُ أقضي من الحزن

ولكنني راجعت حلمي وردني … إلى الحزم رأيٌّ لا يحوم على أفن

ولولا بنيّات وشيبٌ عواطلٌ … لما قرعت نفسي على فائت سنّ

فيا قلب صبراً إن جزعت فربما … جرت سنحا طيرُ الحوادث باليمن

فقد تورق الأغصان بعد ذبولها … ويبدو ضياءُ البدر في ظلمة الوهن

٣

وأيُّ حسام لم تصبه كلالة ولهذم رمح لا يفل من الطعن

ومن شاغب الأيام لان مريره وأسلمه طولُ المراس إلى الوهن

وما المرء في دنياه إلا كسالك مناهج لا تخلو من السهل والحزن

فإن تكن الدنيا تولّت بخيرها فأهون بدنيا لا تدوم على فن

****

٤

يرى بصري من لا أود لقاءه وتسمع أذني ما تعاف من اللحن

تحملت خوف المن كل زريئة وحمل زرايا الدهر أحلى من المن

وعاشرت أخداناً فلما بلوتهم تمنَّيت أن أبقى وحيداً بلا خدن

إذا عرف المرء القلوب وما انطوت عليه من البغضاء عاش على ضغن

فكيف مقامي بين أرض أرى بها من الظلم ما أخنى على الدار والسكن

فسمع أنين الجور قد شاك مسمعي ورؤية وجه الغدر حل عرا جفني

وصعب على ذي اللب رئمان ذلة يظل بها في قومه واهي المتن

وماقلت إلا بعد علم أجدَّ لي يقينا نفى عني مراجعة الظن

فقد ذقت طعم الدهر حتى لفظته وعاشرت حتى قلت لابن أبي دعني

ولولا أخ أحمدت في الود عهده على حدثان الدهر ماكنت أستثني

ورب بعيد الدار بصفيك وده ومقترب يجني عليك ولم تجن

فذاك أخ لولاه أنكرت كل ما سمعت به عن أحنف الحلم أومعن

فإن لم أصرح باسمه خوف حاسد يـنم عليـه فهـو يعلـم مـن أعنـي

علـى أن ذكـراه وإن كـان نائيـا سمير فؤادي في الإقامة والظعن

أنـوح لبعـدي عنـه حزنـا ولوعـة كمـا نـاح شـوقا جميـل علـى بـثن

فمن لـي بـه خـلا كريمـا نجـاره فقد سئمت نفسـي معاشـرة الهجـن

لعـل يـد الأيـام تسـخو بلقيـة أراه بهـا بعـد الكـزازة والضـن

وإنـي وإن طـال المطـال لواثـق برحمة ربي فهو ذو الطول والمن

****

المفردات

- اللبانة : الحاجة
- غبن : ظلم
- عزني : لم يطاوعني
- الترائب : أعالي الصدور إلى النحور
- الدجن : المطر الكثير
- أفن : نقصان في العقل
- قرعت : ندمت
- الوهن : منتصف الليل
- كهامة : كلل وضعف
- لهذم رمح : سنان الرمح
- يفل : تتكسر أسنانه
- الحَزْن : من الأرض ، الصعب التي يتعب المرء من السير فيها ، والجمع : حزون
- لاتدوم على فن : لاتدوم على حال
- الأخدان : الأصدقاء

- بلوتهم : عاشرتهم
- الضغن : بكسر العين تعني : الغيظ
- رئمان ذلة : الرضا بالمذلة
- أحنف ومعن : أحنف بن قيس ، ومعن بن زائدة ، وهما ممن عرفوا بالحلم وسعة الصدر ورجاحة العقل .
- الهجن : جمع هجين ، وهو مااختلط في نسبه ويرمز به هنا في القبح والرذالة.
- كزازة يد الأيام : ضنها وبخلها .
- المطال : التأجيل والتسويف .

مناسبة النص

حكم على الشاعر بالنفي إلى جزيرة سرنيب في أقصى جنوب الهند مع الزعيم أحمد عرابي ونفر من رفاقه الضباط الذين شاركوا في الثورة على ظلم الخديوي توفيق ، تلك الثورة التي لم تكلل بالنجاح وقبض على الثائرين وعقدت لهم محكمة صورية صودرت على إثرها ممتلكاتهم وأقلتهم السفينة مبحرة إلى حيث منفاهم بعيدا عن وطنهم الغالي مصر .

وقد كتب الشاعر هذه القصيدة يبث من خلال أبياتها لوعة الفقد ومرارة ماوقع عليه من غبن وماتعرض له من غدر وخيانة .

البناء الفكري:

يبدأ الشاعر قصيدته في جزئها الأول بداية غزلية على غرارشعراء العربية القدامى وقدقلنا آنفا أن الشاعر يترسم

خطى فحول الشعراء نهوضا بالقصيد برده إلى عهوده الزاهرة في زمن الجاهلين والعباسيين ؛ فالبين قد غطى على الشاعر حتى أزال من مخيلته مافعلته عيون محبوبته الجميلة التي تشبه عيون المها ، فشاب شعر رأسه ولما يزل في ريعان الصبا والشباب وهو يفارق الديار تاركا بها قلبا محبا أوقعته عيون المها في شراك حسنها ، وهو إذ يفارق الوطن فقد ترك أخا صديقا عزيزا له ؛ لذا يتسائل متمنيا :

(هل من فتى يجمع الدهر بيننا

فليس كلانا عن أخيه بمستغن).

وفي الجزء الثاني:

يصور الشاعر لحظة فراق الوطن فالدموع منهلة تسيل على صدره، وهو يهيب بصبره أن يعود إليه فلم يطاوعه ، ونادى على حلمه

وتجلده أن يعود إليه فلم يغنه شيئا ، وماهي إلا لحظات وتقلع السفينة مخلفة وراءها وطنه الغالي، وهاهو يلاقي العنت والعناء والشوق والغربة ، ولم يكن الشاعر قد جرب النوى قبل هذه التجربة فلما حلت به داهية الفراق كاد يقضي عليه الحزن والأسى ، وفي غمرة الأسى يراجع نفسه فيرده الحزم إلى الصواب مشيرا إلى تجلده رغم ماحدث، ويبين أنه لولا أسرته التي تضم بنيات وشيب كبار السن لما حزن ولما استبد به الأسى؛ لذا ينادي قلبه طالبا منه الصبر والتجلد فربما ينصلح الحال وتجري الطير سانحة تبشر يالخير واليمن ، وقد تعود الأغصان خضراء مورقة بعد أن كانت ذابلة جافة ، ويطلع البدر منيرًا في ظلمة الليل الدامس.

وفي الجزء الثالث:

يعزي الشاعر نفسه بأن ما أصابه ليس بغريب فكل سيف يكل ويتعب من طول الضراب وكل رمح تضعف سنانه من طول الطعن والنزال ، وإن من عايش الأيام ونازلها تلين قناته ويسلمه طول التعامل معها إلى الضعف والفتور .

وفي إطار تعزية الشاعر يلجأ إلى الحكمة وهو أمر اعتاد عليه فيقول لنا : إن المرء في هذه الدنيا كالسائر في الطريق يجد فيها السهل الميسر والصعب الذي يعوق السير :

وما المرء في دنياه إلاكسالك مناهج لا تخلو من السهل والحزن

ويصل الشاعر بتعزية نفسه مداها مبينا أن الدنيا وإن تكن ذهبت بما تحمل من خير فماأهون دنيا لاتدوم على حال واحد .

وفي الجزء الرابع والأخير من النص يبين الشاعر ما ألم به من الغبن وما قابل من مواقف صعبة ، وما واجه من أناس متقلبين ومخادعين تخلو عنه ، فهو يرى أناسا لايود لقاءهم لما فيهم من سوء، كما أن فيهم من يمن عليه بما يقدم من مساعدة وهو الأمر الذي يكرهه الشاعر ويحذر منه ، حتى أنه من هول مارأى منهم تمنى أن يعيش وحيدا بغير صاحب ، ويبين أنه من الصعب عليه ومالايقبله أن يقيم في أرض يلاقي فيها من الظلم مايغطي على داره ومكان إقامته ومن الصعب عليه أن يعيش ذليلا ضعيفا مهيض الجناح ، ومن طول مالاقى من العنت والضيم كاد أن يقول لأخيه من أمه وأبيه : دعني.

وفي ظل هذا الجو الملبد بسحائب الظلم ورياح الغدر والخيانة

والتقلب يرسم لنا صورة أخ له وفي العهد يفوق في حلمه حلم الأحنف بن قيس ومعن بن زائده ، وهو لايصرح باسمه مبينا أنه يعرف نفسه ، فهو في البعد سمير فؤاده لاينفك يذكره وينوح حزنا على بعده عنه واشتياقا إليه كما ناح جميل بن معمر حزنا على بثينة ؛ لذا يتمنى أن يجود الدهر له بخل وفي مثل هذا الذي فارقه وابتعد عنه ، لأنه سئم من هؤلاء السيئين المخادعين ، وهو واثق من رحمة ربه به ولاينسى الشاعر أن يتوج فكرته بالحكمة التي تصب في جانب الفكرة وتدعمها ، يقول:

يرى بصري من لا أود لقاءه ... وتسمع أذني ما تعاف من اللحن
فسمع أنين الجور قد شاك مسمعي ... ورؤية وجه الغدر حل عرا جفني
وصعب على ذي اللب رئمان ذلة ... يظل بها في قومه واهي المتن
ورب بعيد الدار بصفيك وده ... ومقترب يجني عليك ولم تجن
لعل يد الأيام تسخو بلقية ... أراه بها بعد الكزازة والضن
وإني وإن طال المطال لواثق ... برحمة ربي فهو ذو الطول والمن

****

البناء اللغوي الجمالي

في النص كثير من مظاهر الجمال والمحسنات البديعية غير المتكلفة والأساليب الخبرية والإنشائية منها :

- افتتاح النص باستخدام الفعل الماضي في قوله (محا البين) افتتاح موفق يدلنا على مدى تحقق وقوع كارثة البين ، وماترتب عليها من مشيب رأس الشاعر في قوله : فشبت ولم أقض اللبانة من سني ، ومعلوم أن التعبير بالفعل الماضي يدل على تأكيد وقوع الشيء وإثباته .
- والتعبير بالمصدر - الذي هو أصل الاشتقاق - في قوله : عناء ويأس واشتياق وغربة يدل على فداحة ماترتب على كارثة البين والابتعاد عن الوطن مصر .

ثم انظر إلى تتابع الصور الجماليةالتي تعمق أبعاد حزن الشاعر في قوله :

(وأسبَلَتْ مدامعنا فوق الترائب كالمزن) وهو تشبيه يبن غزارة الدموع التي ذرفها الشاعر حال مفارقة الأهل والأحبة .

(أهبتُ بصبري أن يعودَ ، فعزني) استعارة مكنية تبرز يأس الشاعر وتخلى صبره عنه وهو الفارس الذي عرف بالصبر والتجلد .

(وناديت حلمي أن يثوب فلم يُغنِ) استعارة مكنية شخص فيها البين وصيره إنسانا وراح يناديه ويتشبث به دون جدوى ، والخيال هنا يؤكد ماحل بالشاعر وعصف بكيانه . ولك أن تتخيل امرءا تخلى عنه صبره وثباته وتجلده وهو في محنة ماذا يفعل ؟

(أقلعت بنا عن شطوط الحي أجنِحـةُ السُّفْنِ) استعارة مكنية فيها تجسيم جعل السفينة طـائرا ذي أجنحـة يحلق بالشـاعر بعيدا إلى حيث الأحزان والآلام في غربة ليس فيها أنيس أوجليس .

وانظر إلى وجود كم الخبرية وماتدل عليه من كثرة في قوله :

(فكم مُهجـةٍ من زَفرَةِ الوجدِ في لظـى) (وكم مُقلَةٍ مِنْ غزرة الدمع فـي دَجْنِ)

وهذه الكنايـة التـي تـدل علـى فداحـة مـاألم بالشـاعر (كدت أقضــي من الحزن)

والشـاعر لـم يعـدم الوسيلة فقد راجـع حزمـه وحلمـه وسـعة صدره فأعادوا إليه ثباتـه واتخـذ من التصوير الاستعاري وسيلة لإظهار ذلك في قوله :(راجعت حلمي) ،

وقوله : (ردني إلى الحزم رأي لايحوم على أفن)

وفي محاولـة من الشـاعر للثبـات فـي مواجهـة الكارثـة وهو الفارس الثبوت في مثل تلك المواقف نـراه ينـادي قلبـه راجيا منـه الصبر في قوله : (فياقلب صبرا) ، ولأن عاقبة الصبر خير فقد بين ذلك في قوله :

(جرت سنحا طيرُ الحوادث باليمن) (تـورق الأغصـان بعـد ذبولهـا)

(ويبدو ضيـاءُ البدر فـي ظلمـة الوهن) وكلهـا كنايـات تـدل على تغير الحال وتبدل الأمور إلى الأفضل .

وفـي لجـوء الشـاعر إلـى الحكمـة وتضـمينها فـي قصـيدته مايؤكد أنه يصبر نفسه ويسري عنها ماحاق بها في قوله :

(وأيٌّ حسام لم تصبه كلالـة ، وأي ولهذم رمح لا يفل من الطعن) وهي حكمة في صيغة استفهام تفيد النفي فلا حسام وجد دون أن يلم بـه الضـعف والكلل ،وليس هنـاك رمـح لـم تضـعف سنانه وتعجز عن

الطعن ويلخص القول كله في هوان الدنيا وكونها لاتدوم على حال (فأهون بدنيا لا تدوم على فن) ..

- وفي تصور جمالي را ئع استخدم الأسلوب الخبري الذي يفيد اليقين والتأكيد ليبين ألوان الظلم التي تعرض لها ، ومنها :
- رؤيته من لايود لقاءه من الختالين المخادعين (يرى بصري من لاأود لقاءه) .
- سماعه اللحن في القول والخطأ الذي تعافه النفس تنفر منه (وتسمع أذني ما تعاف من اللحن)
- تحمله الرزايا خشية مماسمع من منٍّ وتفضل ممقوت (تحملت خوف المن كل رزيئة)- مالقيه من سوء من أناس تعامل معهم مما جعله يتمنى العيش وحيدا :

وعاشرت أخداناً فلما بلوتهم   تمنَّيت أن أبقى وحيداً بلا خدن

- عدم احتماله المقام في مكان يغلفه الظلم :

فكيف مقامي بين أرض أرى بها   من الظلم ماأخنى على الدار والسكن

وقد جاء التعبير عن هذا المعنى بصيغةاستفهام يدل على النفي

والاستبعاد ، فهو كفارس يأبى الضيم من المستحيل أن يعيش في هذا الجو المفعم بالظلم .

وانظر إلى الصور الجمالية المتتابعة الدالة على كراهته الظلم :

(فسمع أنين الجور قد شاك مسمعي)   ورؤية وجه الغدر حل عرا جفني)

(ذقت طعم الدهر حتى لفظته)

وكلها استعارات مكنية تجسم الظلم في صورة كائن حي يئن ، ولـه وجـه قبـيح تعافـه الـنفس وتكرهـه ، كمـا جعلـه طعامـا لايستسيغه ولايحب طعمه لأن النفس تلفظه وتمجه .

وفي ظل هذا الجو القاتم يتذكر أخا لـه عطوفا حدبا وقف بجانبـه فـي محنتـه ، ولـم يتخـل عنـه وانظـر الصـورة التـي رسـم أبعادها لهذا الصديق الوفي من خلال عباراته وصوره :

ولـولا أخ أحمـدت فـي الـود عهـده　　　على حـدثان الـدهر ماكنـت أسـتثني

فلـولا وجـود هـذا الصـديق الـوفي لكـره النـاس جميعـا دون استثنـاء ، ثم يؤكد هذا القول بما أورده من حكمـة فـي البيـت الـذي يليه في قوله :

ورب بعيـد الـدار يصـفيك وده　　　ومقتـرب يجنـي عليـك ولـم تجـن

وانظر إلى هذه المبالغة المقبولة التي يفضل فيها مايتمتع بـه صديقه من حلم ومروءة على أحنف بن قيس ومعن بن زائدة ومـا لهما من سبق مروءة وحلم، يقول :

فذاك أخ لولاه أنكرت كل مـا　　　سمعت بـه عن أحنف الحلم أومعن

وانظر إلى الكناية الجميلة في عدم التصريح باسمه ، وذاك لخوفه عليه من الحسد (لم أصرح باسمه خوف حاسد) .

ولقد آلمه فقد هذا الصديق ويصور لك في تشبيه رائع :

أنـوح لبعـدي عنـه حزنـا ولوعـة　　　كمـا نـاح شـوقا جميـل علـى بـثن

ويختتم الشاعر قصيدته بأمل وثقة :

- أمل ورجاء في لقاء صديقه الوفي وذلك في تصوير

استعاري جعل فيها الأيك رجلا كريما يجود ويسخو :

لعـل يـد الأيــام تســخو بلقيــة   أراه بهــا بعــد الكــزازة والضـــن

وثقة في رحمة ربه ولطفه بعباده فهو صاحب الطول والمن

وإنــي وإن طــال المطــال لواثــق   برحمـة ربـي فهـو ذو الطـول والمن

****

قال وهو في سرنديب

لبيك ياداعى الاشواق من داعى

١

لَبَّيْكَ يـا دَاعِـيَ الأَشْـواقِ مِنْ داعـي   أَسْـمَعْتَ قَلْبِـي وَإِنْ أَخْطَـأْتَ أَسْمَاعِي

مُرنِى بِما شئتَ أبلَغْ كلَّ ما وَصَلتْ   يَـدِي إِلَيْــهِ، فَــإِنِّي سَــامِعٌ وَاعِــي

فـلا ورَبِّـكَ مـا أصـغِى إلـى عَذَلٍ   وَلاَ أُبِــيحُ حِمَـــى قَلْبِـــي لِخَــدَّاعِ

إِنِّي امْرُؤٌ لاَ يَرُدُّ الْعَذْلُ بَـادِرَتِي   وَلاَ تَفُلُّ شَـبَاةُ الْخَطْـبِ إِزْمَـاعِي

أجرِى عَلى شِيمةٍ فـى الحُبِّ صادِقة   لَيْسَــتْ تَهُــمُّ إِذَا رِيعَــتْ بِــإِقْلاَعِ

لِلْحُـبِّ مِـنْ مُهْجَتِـي كَهْفٌ يَلُـوذُ بـهِ   مِن غَدرِ كلِّ امرِئٍ بالشرِّ وقّاعِ

بَذَلتُ فى الحبِّ نَفسى وهى غاليةٌ   لِبَاخِــلٍ بِصَــفَاءِ الْــوُدِّ منَّـــاعِ

أَشْـكُو إِلَيـهِ، وَلاَ يُصْـغِي لِمَعْذِرَتـي   مِنْ غَيْرِ ذَنْبٍ جَنَتْهُ النَّفْسُ أَوْ دَاعِـي

وَيْلاَهُ مِنْ حَاجَـةٍ فِـي النَّفْسِ هَامَ بِهَا   قَلْبـي، وَقَصَّـرَ عَـنْ إِدْرَاكِهَـا بَـاعِي

أسـعى لَهـا وهـىَ مِنِّـى غيـرُ دانِيـةٍ   وكيـفَ يَبلـغُ شـأوَ الكوكـبِ السـاعِى؟

****

٢

يا حبَّذا جُرعَةٌ مِن ماءِ مَحنيةٍ … وَضَجْعَةٌ فَوْقَ بَرْدِ الرَّمْلِ بِالْقَاعِ!

وَنَسْمَةٌ كَشَمِيمِ الْخُلْدِ قَدْ حَمَلَتْ … رَيَّا الأَزَاهِيرِ مِنْ مِيثٍ وَأَجْرَاعِ

يا هَل أرانِى بِذاكَ الحىِّ مُجتَمِعاً … بأهلِ وُدِّى من قومى و أشياعِى ؟

و هَل أسوقُ جَوادِى لِلطرادِ إلى … صَيْدِ الْجَآذِرِ فِي خَضْرَاءَ مِمْرَاعِ؟

مَنَازِلٌ كُنْتُ منْهَا فِي بُلَهْنِيَةٍ … مُمَتَّعاً بَيْنَ غِلْمَانِي وَأَتْبَاعِي

إِذَا أَشَرْتُ لَهُمْ فِي حَاجَةٍ بَدَرُوا … قَضَاءَهَا قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلْمَاعِي

يَخْشَى الْبَلِيغُ لِسَانِي قَبْلَ بَادِرَتِي … ويُرعَدُ الجيشُ باسمِى قَبلَ إيقاعِى

فَالْيَوْمَ أَصْبَحْتُ لاَ سَهْمِي بِذِي صَرَدٍ … إِذَا رَمَيْتُ، وَلاَ سَيْفِي بِقَطَّاعِ

****

٣

أبيتُ فِـي قُنَّـةٍ قَنْـوَاءَ قَدْ بَلَغَتْ — هـامَ السِـماكِ، وفاتَتـهُ بِـأبواعِ
يَسـتقبِلُ المُـزنَ ليتيهـا بوابِلـهِ — وتصـدِم الـرِيحُ جَنبيهـا بزِعـزاعِ
يَظَـلُّ شِمْرَاخُهَا يَبْسـاً، وَأَسْفَلُهَا — مكلّـلاً بالنَـدى يَرعـى بـهِ الراعِـى
إِذَا الْبُرُوقُ ازْمهَرَّتْ خِلْتَ ذِرْوَتَهَا — شَـهماً تـدرَّعَ مـن تبـرٍ بِـأدراعِ
تَكَـادُ تَلْمِسُ منْهَا الشَّمْسَ دَانِيَـةً — وَتَحْـبِسُ البَـدْرَ عَـنْ سَـيْرٍ وَإقْـلاَعِ
أَظَلُّ فِيهَـا غَرِيبَ الدَّارِ مُبْتَئِسـاً — نـابِى المضـاجعِ مـن همٍّ وأوجـاعِ
لا فى "سرنديبَ" خِلٌّ أستعينُ بهِ — عَلَـى الْهُمُـومِ إِذَا هَاجَـتْ، وَلاَ رَاعِـي
يَظنّنى من يرانِى ضاحِكاً جَذِلاً — أنِّـى خَلـىٌّ، وهَمِّـى بـينَ أضـلاعِى
ولا، وربِّـكَ مـا وَجدِى بِمنـدرِسٍ — علـى البِعـادِ ولا صَـبرِى بِمِطـواعِ

****

٤

لَكنّنِـى مالِـكٌ حَزمِـى، ومُنتَظِـرٌ — أمْـراً مِـنَ اللهِ يَشـفِي بـرْحَ أَوْجَـاعِي
أَكُفُّ غَرْبَ دُمُوعِي وَهْيَ جَارِيَـةٌ — خَـوْفَ الرَّقِيـبِ وَقَلْبِـي جِدُّ مُلْتَـاعِ
فَـإِنْ يَكُـنْ سَـاءَنِي دَهْرِي، وَغَـادَرَنِي — رَهْـنَ الأَسَـى بَـيْنَ جَـدْبٍ بَعْـدَ إِمْـرَاعِ
فَـإِنَّ فـى مِصـرَ إخوانـاً يَسـرُّهمُ — قُرْبِـي، وَيُعْجِبُهُمْ نَظْمِـي وَإِبْـدَاعِي

****

المفردات

- شباة: حد السيف القاطع .
- شأو : مرتبة سامية.
- ماء محنية:منعطف الوادي .
- ميث: أرض خصبة طيبة .
- أجراع:أرض رملية .
- الطراد: الصيد ومطاردته .
- الجآذر: أولاد البقرالوحشي ، مفردها جؤذر.
- خضراء ممراع:أرض ذات نباتات.
- بلهنية: سعة العيش وهناؤه .
- إلماعي: اللمعة من البصر .
- إيقاعي : وقع خطواته أو حسه .
- صرد:يرمي السهم ويصيب به هدفه .
- قنة قنواء:أعلى الجبل وقمته الشماء .
- السماك: نجم نير .
- أبواع: بعيد ، شديد الارتفاع في السماء .
- الليتان: صفحتا العنق .
- زعزاع :العاصفة .
- ازمهرت:لمعت .

- تدرع: لبس الدرع .
- تبر: الذهب .
- نابية : مقلقة بعيدة .
- مندرس: مخرب .
- إمراع : خصوبة المكان وفرة مرعاه .

مناسبة النص :

البارودي شاعرنا مرهف الحس جزل العبارة رجل حرب وسياسة، شارك في ثورة عرابي ثم في مناهضة الاحتلال البريطاني فكان جزاؤه النفي إلى جزيرة سرنديب مدة سبعة عشر عاما تاركا أهله بمصر العزيزة، وفي منفاه كتب أجمل قصائده عن الغربة والشوق والحنين ، وفي هذا السياق تندرج القصيدة ،إذ كتب هذه الأبيات يبث من خلالها لواعجه وأشواقه التي عصفت به وهوبعيد عن أهله وذويه يعيش فردا بعد أن صودرت أملاكه وسلب الجاه والمنزلة والصحب والأهل ، ولم يبق له إلا حفنة من ذكريات كانت له في وطنه مصر يجترها بين الحين والحين ليسري عن نفسه ويمنيها بأمل العودة إلى وطنه الغالي .

البناء الفكري

أقام البارودي بناء قصيدته الفكري وشيده في أربعة أجزاء ، وصاغ الجزء الأول منها في قالب غزلي وفقا لعمود الشعر العربي الذي اتبعه الشعراء العرب القدامي في عصور

الازدهار والتألق ، ومن ثم افتتح قصيده بمناجاة داعي الشوق مبينا أنه طوع أمره ، وأنه لايسمع لمن يلوم ويعزل ، ولاينقاد لكلام امرىء متقلب مخادع ، وانه قوي صلب في مواجهة الخطوب وأحداث الدهر يجري على نهج واضح من الوفاء ، ويقول متغزلا في فتاته التي تضن بحبها عليه وقد بذل في سبيل حبها كل ماتريد وله حاجة في النفس دونها ملامسة النجوم .

وفي الجزء الثاني من النص تعاود الذكريات شاعرنا فيحن إلى وطنه متمنيا جرعة من مائه العذب أو نسمة محملة بروائح الزهر في أرض وطنه الخصبة ، ويحن إلى لقيا الأهل والأصدقاء من قومه وأشياعه ويتساءل هل يعود به الزمن ويرجع لوطنه وتعود رحلات الصيد والقنص التي كان يقوم بها ممتطيا صهوة جواده المطهم ، ومتمنيا أن تعود تلك الأيام بما كان له فيها من سطوة يطلب فيجاب طلبه ويأتمر الجند بأمره ، ويقول في مرارة وهأنذا في غربتي ومنفاي مهيض الجناح لاسهمه مصيب هدفه ، ولاسيفه بقطاع كما كان.

ويصور الشاعر بكل أسى ومرارة منزله في منفاه ويرسم أبعاد المكان الذي يؤيه أقصد السجن الذي يعيش فيه ،فهو يقيم في أعلى قمة جبل في مكان ضيق موحش ترى منه السحاب وتعصف به الريح من كل جانب ، تكاد تلمس الشمس ، وتجالس البدر في هذه القمةالشاهقة هنا حيث هذا المأوى الموحش

يقضـي الشـاعر أيـام منفـاه وحيـدا بغيـر رفيـق أو صـديق يستعين به على همومه التي تلازمه ولاتفارقه ، يظن من يراه أنـه ضـاحك جـزل ، وحقيقـة الأمـر أنـه يقـيم علـى الألـم والمعانـاة ، لاشوقه بمنقطع ولا الصبر يطاوعه .

والشاعر مع مابه من ألم متجلد يملك حزمه ، يعيش منتظرا أمرًا من الله وفرجا منـه يبرىء جسده ونفسـه مما يلاقـي من ألـم النـوى ، وهـو يحـاول جاهدا أن يكفكف دموعـه المدرارة خـوف الشامت والرقيب وقلبه ينفطر من وجع الجوى ، ومع ذلك يجد الشـاعر مندوحـة لـه في أهلـه فـي مصـر الـذين يتمنـون لقـاءه ويعجبون بشعره ومايأتي به من بديع القصيد ورائعه

البناء اللغوي الجمالي

يفتتح الشاعر قصيدته ملبيا مناديًا في قولـه : (لبيك يـاداعي الأشواق) والنداء هنا للتنبيه وجذب الأنظار .

والأمـر فـي قولـه:مرنـي غرضـه الالتمـاس والاستعطاف ، وإظهار الخضوع لداعي الأشواق .

وبقية الأساليب في الجزء الأول خبريـة ، ماعدا الاستفهام في آخر الجزء ، وأساليب الخبر :

ما أَصغِي إلى عَذَلٍ وَلاَ أُبِيحُ حِمى قَلْبِي لِخَدَّاعِ
إنِّـي امـرُؤٌ لاَ يَـرُدُّ الْعَذْلُ بَـادِرَتِي وَلاَ تَفُـلُّ شَـبَاةُ الْخَطْـبِ إِزْمَـاعِي
أجرِى عَلى شِيمةٍ فى الحُبِّ صادِقة لِلْحُـبِّ مِـنْ مُهْجَتِـي كَهْفٌ يَلُـوذُ بِـهِ
بَذَلتُ فى الحبِّ نَفسى وهى غاليةٌ

كلهـا أسـاليب تفيد الافتخـار والاعتـزاز بـالنفس وتـدل علـى سمو أخلاق الشاعر وتمتعه بعفة النفس وكرمها .

وفي قوله :

أسعى لَها وهىَ منِّى غيرُ دانِية   وكيفَ يَبلـغُ شـأوَ الكوكـبِ السـاعِى ؟

- استفهام غرضه النفي والاستبعاد .
- (مهجتي كهف للحب) ، تشبيه بليغ يفيد رقة الشاعر وعلو نفسه.
- (بَذَلتُ فى الحبِّ نَفسى وهى غالية) استعارة مكنية فيها تجسيم يدل على مشاعر البارودي النبيلة.

وفي قوله :

يا حبَّذا جُرعَةٌ من ماءِ مَحنيةٍ   وَضَجْعَةٌ فَوْقَ بَرْدِ الرَّمْلِ بِالْقَاعِ!

وَنَسْمَةٌ كَشَمِيمِ الْخُلْدِ قَدْ حَمَلتْ   رَيَّا الأَزَاهِيرِ مِنْ مِيثٍ وَأَجْرَاعِ

- نداء الغرض منه التمني .
- (نسمة كشميم الخلد) تشبيه يبرز مدى جمال ورقة النسيم في وطنه .
- والنداء والاستفهام في قوله :

يا هَل أرانِى بِذاكَ الحىِّ مُجتَمِعاً   بأهلِ وُدِّى من قومى وأشياعِى ؟

- الغرض منه الطلب والتمني
- وكذلك الاستفهام في قوله :

وهل أسوقُ جوادِى لِلطرادِ إلى   صَيْدِ الْجَآذِرِ فِي خَضْرَاءَ مِمْرَاعِ؟

- الغرض منه التمني .

إِذَا أَشَـرْتُ لَهُـمْ فِـي حَاجَـةٍ بـدَرُوا   قَضَــاءَهَا قَبْــلَ أنْ يَرْتَــدَّ إِلْمَــاعِي

- كناية عن زعامته وعلو منزلته في قومه ، وأنه الرئيس ؛يأمر فيطاع أمره .
- (يَخْشَى الْبَلِيغُ لِسَانِي) كناية عن فصاحته وتمكنه ، وامتلاكه ناصية القول .
- (ويُرعَدُ الجيشُ باسمِى قَبلَ إيقاعِى) كناية عن بأسه وقوته وشجاعته
- (لاَ سَهْمِي بِذِي صَرَد إِذَا رَمَيْتُ) كناية عما آل إليه من الضعف(وَلاَ سَيْفِي بقَطَّاعِ) كناية عما آل إليه حاله من الضعف والفتور .
- (قُنَّةٍ قَنْوَاءَ قَدْ بَلَغَتْ هامَ السِماكِ ، وفاتَتهُ بِأبواعِ) كناية عن شدة ارتفاع المكان الذي كان يقيم فيه.
- (إِذَا الْبُرُوقُ ازْمهَرَّتْ خِلْتَ ذِرْوَتَهَا شَهماً تدرَّعَ من تبرٍ بِأدراعِ) تشبيه تمثيلي ؛ شبه فيه ذروة المكان المرتفع الذي يقيم فيه الشاعر حين يلمع البرق فوقه بشخص شهم قد ارتدى دروعا من ذهب وهو تشبيه يفيد مدى علو هذا المكان وشدة لمعانه . (وَتَحْبِسُ البَدْرَ عَنْ سَيْرٍ وَإِقْلاَعِ) كناية عن شدة ارتفاعها .
- (لا فى " سرنديبَ " خِلٌّ أستعينُ بهِ) كناية عن وحشة المكان .
- (لاصبري بمطواع) استعارة مكنية.
- (مالك حزمي) استعارة مكنية .

- (جدب ، إمراع) طباق يبرز المعنى ويوضحه .
- كناية عن الإيمان والثقة في الله .منتظر أمرا من الله) .
- أساليب الفقرتين : الثالثة والرابعة خبرية تفيد التقرير وإثبات هذه المعاناة التي يعيشها الشاعر .

وقال وهو في منفاه أيضا:

لكل دمع جرى من مقلتى سبب

لكل دمع جرى من مقلتى سبب	وكيف يملك دمع العين مكتئب ؟
لولا مكابدة الأشواق ما دمعت	عين و لا بات قلب في الحشا يجب
فيا آخا العذل لا تعجل بلائمة	عليَّ فالحب سلطان له الغلب
لو كان للمرء عقل يستضيئ به	في ظلمة الشك لم تعلق به النوب
ولو تبيّن ما في الغيب من حدث	لكان يعلم ما يأتي ويجتنب
لكنه غرض للدهر يرشقه	بأسهم ما لها ريش ولا عقب
فكيف أكتم أشواقي وبي كلف	تكاد من مسه الأحشاء تنشعب؟
كأن قلبي إذا هاج الغرام به	بين الحشا طائر في الفخ يضطرب
لا يترك الحب قلبي من لواعجه	كأنما بين قلبي والهوى نسب
منازل كلما لاحت مخايلها	في صفحة الفكر مني هاجني طرب
لي عند ساكنها عهد شقيت به	والعهد لم يصنه الود منقضب

****

أبيت في غربة لا النفس راضية   بها و لا الملتقى من شيعتي كثب

فلا رفيق تسر النفس طلعته   ولا صديق يرى مابي فيكتئب

ومن عجائب مالاقيت من زمني   أني منيت بخطب أمره عجب

فهل دفاعي عن ديني وعن وطني   ذنب أدان به ظلما وأغترب ؟

****

أثريت مجدا فلم أعبأ بما سلبت   أيدي الحوادث مني فهو مكتسب

لا يخفض البؤس نفسا وهي عالية   ولا يشيد بذكر الخامل النشب

إني امرؤ لا يرد الخوف بادرتي   ولا يحيف على أخلاقي الغضب

ملكت حلمي فلم أنطق بمندية   وصنت عرضي فلم تعلق به الريب

فإن يكن ساءني دهري وغادرني   في غربة ليس لي فيها آخ حدب

فسوف تصفو الليالي بعد كدرتها   وكل دور إذا ما تمّ ينقلب

****

المفردات:

- الخطب : الكارثة والمصيبة ، وجمعها : خطوب.
- النشب : الجاه والمال.
- فرية : كذبة ، والجمع : فِرَى .
- الريب : الشكوك ، والمفرد ريبة.
- مندية : مخزية.
- حدب : عطوف .

مناسبة النص :

نفي الشاعر إلى سرنديب واستقر به المقام هناك بعيدا عن أرضه وأهله وذويه فهو مؤرق مسهد مانفك يذكر أهله وأيما له في مصر فيذرف الدمع مدرارا وتهتاج روحه لذكرها ليلا ونهارا ، لاتطمئن له نفس ، ولايرتاح له جنب ، ولايهدأ له بال ، وفي النص تعبير وتصوير لتلك الأحاسيس ومافي النفس من خلجات وانفعالات .

البناء الفكري :

بداية غزلية كما عودنا الشاعريبين فيها أن لكل دمع ينسكب من العينين سبب وأن مكابدة الأشواق مبعث للحزن والأسى ولولاها مادمعت عين ولابات قلب مضطربًا ؛ لذا يطلب مما ينحي عليه باللائمة أن يتريث ويرفق به ، لأن الحب غالب على الناس والحب سلطان آمر يعنو له الخلق ويأتمرون بأمره ، ولو أنه حكم عقله واستهدى به لكان يدرك تماما مايفعل ، ومايبتعد عنه ، وما علقت به الشكوك والاتهامات لكن هذا نصيب ومقدر له أن يصاب بتلك السهام ويناله منها الوصب والأوجاع .

وفي الجزء الثاني من النص يصور الشاعر حاله في اغترابه عن وطنه ، فقد أصبحت الغربة مكانا يقيم فيه ليله ونهاره دونما صديق يحمل عنه همة ويعينه في مايواجه من شدة وألم وليس معه في محنة الاغتراب رفيق يسره مرآه

ويسِرّي عنه مما يلاقي ، ومن العجب أنه نفي عن وطنه دونما سبب يقضي بذلك ، ذنبه الوحيد أنه دافع عن دينه وعن وطنه وتلك في عرف المحتلين جريمة لا تغتفر وذنب ينبغي أن يعاقب عليه ، وهو بذلك يفضح أمر المستعمرين وأنهم يصادرون أموال وأملاك الوطنيين الكرماء ، ويسفهون أحلام الشرفاء ويلصقون التهم بالأبرياء فسحقا للمستعمرين .

وفي الجزء الثالث لا يستسلم الشاعر لليأس في غربته ويحاول أن يسري عن نفسه ؛ إذ يبين أنه قد حقق أمجادا جمة بمجهوده فلايهمه ماقد ضاع منه لأنه قادر على أن يصنع مثله فالمال لايرفع شأن الوضيع ولايحقق منزلة مرتفعة للخاملين الضعفاء ، ومن ثم يفتخر الشاعر بنفسه وبما لديه من صفات سامية وأخلاق عالية ،فهو شجاع لايعرف الخوف إلى قلبه طريقا ، وهو حليم متسع الصدر لايتملكه الغضب ، وهو عفيف الناس لاينطق بكلام مخز وعرضه شريف صيِّن ، لذلك لايبالي ولايحفل بما يتقول به الحاقدون ، فقد تقولوا وافتروا على سيدنا يوسف من قبل ، والشاعرمتفائل لايفقد الأمل ، يؤمن بتبدل الأحوال وتغيرها ، فهو وإن تركته الأيام في غربة موحشة ليس فيها من يرفق به فسوف تؤول إلى خير وكل دور إذا تم ينقلب .

البناء اللغوي الجمالي:

الألفاظ والأساليب والصور والمحسنات التي أتى بها الشاعر تعبر عن معاناته وآلامه في غربته ، وانظر إلى الألفاظ والعبارات: دمع ، مكابدة ، أشواق ، غربة ، لاصديق لارفيق، أدان ، ظلما ، أغترب ، والعبارات : بات قلب في الحشا يجب ، لاالنفس راضية بها ولا الملتقى من شيعتي كثب ،كلها تعبر عما يجيش في نفسه من مشاعر الأسى والحزن .

والصوروالأساليب أيضا تدل على تلك المعاناة نتبينها في :

(يملك دمع العين) استعارة مكنية . شبه دمع العين بشيء مادي يملك وحذفه ورمز إليه بشيء من لوازمه أفادت عدم المقدرة على التحكم في آلامه .

- (بات قلب في الحشا يجب): كناية عن شدة الحزن والألم .
- (يا أخا العذل)كناية عن نسبة العذل إليه ، وهو أسلوب إنشائي جاء في صيغة النداء بغرض الرجاء والالتماس وطلب التمهل وعدم التعجل باللوم من العاذل اللائم.
- (الحب سلطان) تشبيه بليغ يوحي بالسيطرة والهيمنة والقوة.

- (تكاد من مسه الأحشاء تنشعب)كناية عن شدة أشواقه التي تؤلمه.

وانظر إلى أساليب الإنشاء في :

- الاستفهام في قوله : (كيف يملك دمع العين مكتئب ؟) تجده جاء بغرض النفي والتعجب .
- والنهي في قوله : (لا تعجل بلائمة عليَّ) يفيد الالتماس والطلب .
- والاستفهام في قوله : (فكيف أكتم أشواقي وبيكلف تكاد من مسه الأحشاء تنشعب ؟) يفيد التعجب والاستبعاد
- (فهل دفاعي عن ديني وعن وطني ذنب أدان به ظلما وأغترب ؟)استفهام يفيد الإنكار والنفي والدهشة.
- (ماذا الويل والحرب) استفهام للتعجب .

والأساليب الخبرية التي أتى بها الشاعر : تفيد المعاناة ومايترتب عليها من الأسى والألم ، وتأمل ذلك في قوله :

- ✓ لكل دمع جرى من مقلة سبب .
- ✓ أبيت في غربة
- ✓ لم أقترف زلة تقضي عليّ بما أصبحت فيه

- أبيت في غربة)كناية عن تجدد آلامه في الغربة وشدتها .

- قولــه (أبيــت) يــوحي بأنــه يعــيش فــي ظــلام دامــس، والتعبير بالمضارع يوحي بالاستمرار والتجدد .
- (لا النفس راضية بها) يوحي بالقهر والظلم .
- (لا الملتقى من شيعتي كثب) يوحي باليأس والمرارة .
- (فلا صديق تسر النفس طلعته) يفيد الأسى والحزن .
- (لم أقترف زلة تقضـي علـيَّ بما أصبحت فيه) يفضح الاستعمار الظالم .
- (أثريت مجدا) استعارة مكنية جعل المجد المعنوي مالاً يقتنى وهي تفيد عظمة المجد الذي اكتسبه بجده وكفاحه وعرق جبينه .
- (ســلبت أيــدي الحــوادث) اســتعارة مكنيــة تصــور الحــوادث إنســانا يســلب ، وتــوحي بغلبــة الدهروقوتــه وقسوته .
- (ملكت حلمي) استعارة مكنية فقد جعل الحلم عقارا يملك وتفيد سيطرته على نفسه .
- (لم أنطق بمندية) كناية عن اللغة المهذبة وانتقاء الألفاظ والكلمات .
- (صنت عرضي) استعارة مكنية جعل فيها العرض ذخائر تحفظ وتصان .

- (لم تعلق به الريب) كناية عن طهارته وعفته ونقاء شرفه .
- (وما أبالي ونفسي غير خاطئة إذا تخرص أقوام وإن كذبوا) كناية عن الثقة بالنفس .
- تصفو الليالي) استعارة مكنية يشبه الليالي بالماء الذي يصفو، وفيها إبراز للمعنى في صورة حسية .
- ومن المحسنات : (تصفو – كدرتها) طباق ، يكسب المعنى قوة ووضوحا فبضدها تتميز الأشياء (و لا يحيف على أخلاقي الغضب) استعارة مكنية شبه الغضب بشخص يظلم الآخرين ويحيف عليهم ، وتدل على مدى سيطرته على نفسه .
- (لا يرد الخوف بادرتي : تعبير يفيد قوة الشاعر وعدم وقوف الخوف في طريقه ويبرز مدى شجاعته .
- فلم أنطق بمندية) تعبير يوحي بعلو أخلاقه وسموها .
- (أثريت) يفيد عظم المجد الذي حققه بكده وجده .
- (سلبت)إيحاء بصراع الدهر له وغلبته عليه .
- الجمل الخبرية في المقطع الأخير غرضها افتخار الشاعر بمواقفه وبنفسه في قوله :
  - ✓ أثريت مجدا .

- ✓ لم أنطق بمندية .
- ✓ صنت عرضي .
- ✓ لم تعلق به الريب .
- ✓ لايخفض البؤس نفسا وهي عالية .

****

ويبقى البارودي صوتًا متفردًا في مسيرة الشعر العربي ، وعلامة مضيئة يهتدي بها السارون في درب القريض الطويل " فقد صحح المسار وأعاد للشعر العربي مكانته " ورد إليه مظاهر قوته بعد أن سلبته عصور الضعف أسلحته وجردته من ثوبه الأنيق ، وحادت به عن جادة الطريق ، وفي نهج البارودي وهو يعود بالشعر إلى موقعه اللائق به مظاهرفيها تقليد وأخرى فيها تجديد.

فمن مظاهر التقليد في شعر البارودي

أ- التزام الوزن الواحد والقافية الواحدة، كما كان يفعل القدماء.

ب-التأثر بالسابقين وتقليدهم في الصور الجمالية وماكانوا يتوخونه من جزالة الألفاظ وقوتها .

ج-الإكثار من الحكم– تقريبا – في كل قصائده ، حتى صارت علامة مميزة لقصائده جميعها. .

أما مظاهر التجديد في شعره فهي :

أ- وضع عنوان للقصيدة يوحي بمضمونها ، وهذا لم يكن موجودا عند الشعراء العرب القدماء .

ب- الحرص على الوحدة العضوية ، في محاولة منه لأن تكون القصيدة كيانا واحدا متماسكا ، بمعنى أنها تنصرف إلى غرض واحد.

ج-الكتابة في موضوعات سياسية وطنية ، وفي شعر القدماء لم يعرف هذا النوع من الشعر .

ونستطيع بعد ذلك أن نبرز خصائص أسلوب البارودي الفنيةونجملها فيما يلي:

أ-انتقاء الألفاظ الملائمة لمعانيه ، ومايختلج في صدره من أحاسيس.

ب- تضمين الحكمة في شعره بما يخدم المعني ويبرزه .

ج- صدق العاطفة ، ورقة المشاعر ، وكان لايكتب إلا عن إحساس صادق وتجربة .

د- الاعتماد على الصور الجزئية من تشبيه واستعارة وكناية

ه- الزهد في المحسنات البديعية ، ومايأتي منها يكون غير متكلف أما ماتميزت به مدرسة الإحياء والبعث التي وضع البارودي أسسها ،وشيد أركانها فهي :

١-المحافظة على الوزن الواحد والقافية الواحدة

٢- الحرص على جزالة الألفاظ وقوتها .

٣- توخي متانة الأسلوب وملاءمته للمعنى الذي يدور في نفس الشاعر .

٤- تجنب المحسنات البديعية المتكلفة

٥-تقليد القدامى في ما تتضمنه القصيدة من معان وصورجمالية .

٦ - عرض الموضوعات القديمة في ثوب جديد يالائم روح العصر.

٧-التعبير عن بعض الجوانب التي تهم حياتهم الخاصة والتجارب الذاتية .

٨-الارتباط الوثيق بقضايا المجتمع السياسية والوطنية والاجتماعية وتناولها في مايكتب من شعر .

مقتطفات من أجمل قصائد البارودي

محمود سامي البارودي

قال في صباه:

في الغزل والحكمة

خَلَعْتُ فِي حُبِّ غزْلانِ الْحِمَى رَسَنِي ... وَبِعْتُ بِالسُّهْدِ فِي لَيْلِ الْهَوَى وَسَنِي

وَأَعْجَبتْنِي عَلَى ذَمِّ الْعَذُولِ لَها ... صَبَابَةٌ نَقَلَتْ سِرِّي إِلَى الْعَلَنِ

فَلْيَبْلُغِ الْعَذْلُ مِنِّي ما أَرَادَ فقَدْ ... أَسْلَمْتُ لِلشَّوْقِ رُوحِي وَالضَّنَى بدَنِي

تِلْكَ الْحَمَائِمُ لَوْ تَدْرِي بِمَا لَقِيَتْ ... أَهْلُ الْمَحَبَّةِ لمْ تَسْجَعْ عَلَى فَنَنِ

يَا رَبَّةَ الْخِدْرِ قُومِي فَانْظَرِي عَجَباً ... إِلَى غَرَائِبَ لَمْ تُقْدَرْ وَلَمْ تَكُنِ

هَذِي يَدِي جسَّهَا الآسِي وَخَامَرَهُ ... يَأسٌ فَغَادَرَهَا صَرْعَى مِنَ الْوَهَنِ

وَقَالَ لا تَكْتمَنْ أَمراً عَلَيَّ فَقدْ ... عَلِمْتُ مَا بِكَ مِنْ بَادٍ وَمُكْتمِنِ

فَلَمْ أَجِبْ غَيْرَ أَنَّ الدَّمعَ نَمَّ عَلَى ... وَجْدِي وَدَلَّتْهُ أَنْفَاسِي عَلَى شَجَنِي

عَطْفاً عَلَيَّ فَلَمْ أَطْلبْ إِلَيْكِ سِوَى ... أَنْ أَمْتِعَ الْعَيْنَ مِنْ تِمْثَالِكِ الْحَسَنِ

لا تَقْبَلِي الْعَذْلَ فِي مِثْلي فَكلُّ فَتَىً ... حُرِّ الشَّمَائِلِ مَحْسُودٌ عَلَى الْفِطَنِ

وَالنَّاسُ أَعْدَاءُ أَهْلِ الْفَضْلِ مُذْخُلِقُوا ... مِنْ عَهْدِ آدَمَ سَبَّاقُونَ فِي الإِحَنِ

فَلا صَدِيقَ عَلَى وُدٍّ بِمُتَّفِقٍ ... وَلا خَلِيلَ عَلَى سِرٍّ بِمُؤْتَمَنِ

فَلَيْتَ لِي وَدَوَاعِي النَّفْسِ كَاذِبَةٌ ... خِلاً يَكُونُ سُرُورَ الْعَيْنِ وَالأُذُنِ

أُصْفِيهِ وُدِّي وَأَملِيهِ الْهَوَى وَأَرَى ... مِنْهُ الصَوَابَ وَأَرْجُوهُ عَلَى الزَّمَنِ

هَيْهَاتَ أَطْلُبُ أَمْراً لَيْسَ يَبْلُغُهُ ... حَيٌّ وَلَوْ سَارَ مِنْ هِنْدٍ إِلَى يَمَنِ

مَهْلاً أَخَا الْجَهْلِ لا يُغْوِيكَ مَا نَظَرَتْ عَيْنَاكَ فِي هذِهِ الدُّنْيَا مِنَ الْفِتَنِ

هذِي الْبَرِيَّةُ فَانْظُرْ إِنْ وَجَدْتَ بِهَا غَيْرَ الَّذِي قُلْتُ فَاهْجُرْنِي وَلا تَرَنِي

أَنَا الَّذِي عَرَفَ الأَيَّامَ وَانْكَشَفَتْ لَهُ سَرَائِرُهَا مِنْ كُلِّ مُخْتَزَنِ

طَفْتُ الْبِلادَ وَجَرَّبْتُ الْعِبَادَ فَلَمْ أَرْكَنْ لِخِلٍّ وَلَمْ أَجْنَحْ إِلَى سَكَنِ

خُلِقتُ حُرّاً فَلا قَدْرِي بِمُتَّضِعٍ عِنْدَ الْمُلُوكِ وَلا عِرْضِي بِمُمْتَهَنِ

لا عَيْبَ فِيَّ سِوَى أَنِّي عَتَبْتُ عَلَى دَهْرِي فَقدَّمَ مَنْ دُونِي وَأَخَّرَنِي

وَهَذِهِ شِيمَةُ الدُّنْيَا وَمِنْ عَجَبٍ أَنِّي أَرَى مِحْنَتِي فِيهَا وَتُعْجِبُنِي

لَيْسَ السُّرُورُ الَّذِي يَأْتِي الزَّمَانُ بِهِ يَفِي بقَدْرِ الَّذِي يَمضِي مِنَ الْحَزَنِ

فَاسْتَبْقِ نَفْسَكَ إِنْ كُنْتَ امْرَأً فَطِناً وَاقْنَعْ بِعَيْشِكَ فِي سِرْبَالِكَ الْخَشِنِ

وَلا تفُهْ بِحَدِيثِ النَّفسِ إِنَّ بِهِ شرَّ الْحَيَاةِ وَسَعْيَ الْحَاسِدِ الأَفِنِ

وَلا تَسَلْ أَحَداً عَوْناً عَلَى أَمَلٍ حَتَّى تَكُونَ أَسِيرَ الشّكْرِ وَالْمِنَنِ

خَيْرُ الْمَعِيشَةِ مَا كَانَتْ مُذَلَّلَةً هَوْناً وَثَوْبُكَ مَعْصُومٌ مِنَ الدَّرَنِ

وَعَاشِرِ النَّاسَ بِالْحُسْنَى فَإِنْ عَرَضَتْ إِسَاءَةٌ فَتَغمَّدْهَا عَلَى الظَّنَنِ

فَالصَّفْحُ عَنْ بَعْضِ مَا يُمْنَى الْكَرِيمُ بِهِ فَضْلٌ يَطِيرُ بِهِ شُكْرٌ بِلا ثَمَنِ

هَذَا الطَّرِيقُ فإِنْ أَخْطَأتَ شِرْعَتَهُ أَضَعْتَ نَفْسَكَ بَيْنَ الْحَوْضِ وَالْعَطَنِ

وقال متحدثا عما ألم به وماصدر ضده من حكم بالنفي والتشريد

من خالف الحزم

مَنْ خَالَفَ الْحَزْمَ خَانتْهُ مَعَاذِرُهُ ... وَمَــنْ أَطَــاعَ هَــوَاهُ قَــلَّ نَاصِــرُهُ

وَمـنْ تَـرَبَّصَ بِـالإِخْوَانِ بَـادِرَةً ... مــنَ الزَّمَـــانِ فَـــإِنَّ اللهَ قَـــاهِرُهُ

لايَجْمُلُ الْمَرْءُ فِي ظرْفٍ وَفِي أَدَبٍ ... مَــا لَـمْ تَكـنْ فَـوْقَ مَـرْآهُ سَـرَائِرُهُ

وَمَـا الصَّـدِيقُ الّذِي يُرْضِـيكَ بَاطِنُـهُ ... مِثْلُ الصَّدِيقِ الّذِي يُرْضِيكَ ظَـاهِرُهُ

قَدْ لا يَفوهُ الْفَتى بالأَمْرِ يُضْمِرُهُ ... وَبَـيْنَ عَيْنَيْـهِ مَـا تُخْفِـي ضَـمَائِرُهُ

أَسْتَودِعُ اللهَ عَصْرًا قَدْ خَلَعْتُ بِهِ ... عُـذْرَ الْهَـوَى وَهْوَ غَضَّـاتٌ مَكَاسِـرُهُ

لَمْ يَمْضِ مِنْ حُسْنِهِ مَا كُنْتُ أَعْهَدُهُ ... حَتَّـى أَصَـابَ سَـوَادَ الْقَلْـبِ نَـاقِرُهُ

كَيْفَ الْوُصُولُ إِلَى حَالٍ نَعِيشُ بِهَا ... وَالــدَّهْرُ مَأمُونَـــةٌ فِينَـــا بَـــوَادِرُهُ

إِذْ لا صَدِيقَ يَسُرُّ السَّمْعَ غَائِبُهُ ... وَلا رَفِيـقَ يَـرُوقُ الْعـيْنَ حَاضِـرُهُ

كُنَّــا نَـوَدُّ انْقِلابًـا نَسـتَرِيحُ بِـهِ ... حَتَـــى إِذَا تــمَّ سَـــاءَتْنَا مَصَـــايِرُهُ

قَدْ كَانَ فِي السَّلَفِ الْمَاضِينَ نَافِعُهُ ... فَصَــارَ فــي الْخَلـفِ الْباقِينَ ضَـائِرُهُ

مَـا أَبْعدَ الْخَيْرَ فِـي الـدُّنْيَا لِطَالِبِـهِ ... وَأَقْـرَبَ الشَّـرَّ مِـنْ نَفْـسٍ تُحَـاذِرُهُ

أَكُلّمَـــا مَــرَّ مِــنْ دَهْــرٍ أَوَائِلُـــهُ ... كَـــرَّتْ بِمثْـــلِ أَوَالِيـــهِ أَوَاخِـــرُهُ

إِنْ دَامَ هَـذَا أَضَـاعَ الرُّشْدَ كَافِلُـهُ ... والعقـــل مختبـــل ممـــا يحـــاذره

تَنَكَّرَتْ مِصْرُ بَعْدَ الْعُرْفِ وَاضْطَرَبَتْ ... قَوَاعِـدُ الْمُلْـكِ حَتَّـى رِيـعَ طَـائِرُهُ

فَأَهْمَلَ الأَرْضَ جَرًّا الظّلْمِ حَارِثُهَا ... وَاسْـتَرْجَعَ الْمَـالَ خَـوْفَ الْعُـدْمِ تَـاجِرُهُ

وَاسْتَحْكَمَ الْهَوْلُ حَتَّى مَا يَبِيتُ فَتًى ... فِـي جَوْشَـنِ اللّيْـلِ إِلا وَهْـوَ سَـاهِرُهُ

وَيْلُمِّــهِ سَـكَنًا لَـوْلا الـدَّفِينُ بِــهِ ... مِـــنَ الْمَـــآثِرِ مَـــا كُنَّـــا نُجَـــاوِرُهُ

أَرْضَى بِهِ غَيْرَ مَغْبُوطٍ بِنِعْمَتِهِ وَفِـي سِـوَاهُ الْمُنَـى لَـوْلا عَشَـائِرُهُ

يَـا نَفْسُ لا تَجْزَعِـي فَالْخَيْرُ مُنْتَظَـرٌ وَصَـاحِبُ الصّـبْرِ لا تَبْلَـى مَرَائِـرُهُ

لَعَـلَّ بُلْجَـةَ نُـورٍ يُسْتضَـاءُ بِهَـا بَعـدَ الظّـلامِ الّـذِي عَمـتْ دَيَـاجِرُهُ

إِنِّـي أَرَى أَنْفُسًـا ضَـاقَتْ بِمَـا حَمَلَـتْ وَسَـوْفَ يَشْـهرُ حـدَّ السَّـيْفِ شَـاهِرُهُ

شَهْرَانِ أَوْ بَعْضُ شَهْرٍ إِنْ هِيَ احْتَدَمَتْ وَفِـي الْجَدِيـدَيْنِ مَـا تُغْنِـي فَـوَاقِرُهُ

فَإِنْ أَصَبْتُ فَعَنْ رَأيٍ مَلَكْتُ بِـهِ عِلْـمَ الْغيُـوبِ وَرَأيُ الْمـرْءِ نَـاظِرُهُ

ترحلَّ من وادى الأراكةِ بالوجدِ

ترحلَّ من وادى الأراكةِ بالوجدِ فَبَـاتَ سـقِيماً لا يُعِيـدُ، وَلاَ يُبْـدِي

سقيماً تظَلُّ العائداتُ حوانياً عليهِ بإشفاقٍ، وإن كانَ لا يجدى

يَخَلْـنَ بِـهِ مَسّـاً أَصَـابَ فُـؤادَهُ ولـيسَ بـهِ مسٌّ سوَى حـرَقِ الوَجدِ

بِـهِ عِلّـةٌ إِنْ لَمْ تُصِبْهَا سَلاَمَةٌ مِـنَ اللّهِ كَـادَتْ نَفْسَ حَامِلِهَـا تُـرْدِي

وَمِـنْ عَجَـبِ الأَيَّـامِ أَنِّـيَ مُولَـعٌ بِمَـنْ لَـيْسَ يَعْنِيـهِ بُكَـائِي وَلاَ سُـهْدِي

أَبِيتُ عَلِيلاً في «سَرَنْدِيبَ» سَاهِراً أُعَـالِجُ مَـا أَلْقَـاهُ مِنْ لَـوْعَتِي وَحْـدِي

أدورُ بعينـى لا أرَى وَجـهَ صـاحبٍ يَرِيـعُ لِصَـوْتِي، أَوْ يَـرِقٌّ لِمَـا أَبْدِي

وممَّـا شـجانى بـارِقٌ طـارَ مَوهنـاً كَمَا طَارَ مُنْبَثّ الشّرَارِ مِنَ الزَّنْدِ

يمـزِّقُ أسـتارَ الدُّجُنَّـةِ ضَـوءُهُ فَيَنْسِلُهَا مـا بَـيْنَ غَـوْرٍ إِلـى نَجْـدِ

أَرِقتُ لهُ، والشُّهبُ حيرَى كليلةٌ مِـنَ السَّـيْرِ، وَالآفَـاقُ حَالِكَـةُ الْبُـرْدِ

فبِـتَّ كـأنَّى بـينَ أنيـابِ حَيَّـةٍ مِنَ الرُّقْطِ، أَوْ فِي بُرْثُنَـيْ أَسَدٍ وَرْدِ

أقلِّـبُ طرفـى، والنَّجـومُ كأنَّهـا قَتيرٌ مِنَ اليـاقوتِ يلمعُ فى سَردِ

ولا صـاحبٌ غيـرُ الحسـامِ منُوطَـةٌ حمائلُـهُ منِّـى علـى عـاتقٍ صَـلدِ

****

خَليلَـيَّ! هذا الشـوقُ لا شـكَّ قـاتلى ... فمِـيلا إلــى (المقيـاسِ) إن خفتمـا فقـدى

ففِـى ذَلـكَ الـوادى الّـذى أنبـتَ الهـوى ... شِـفَائِيَ مِـنْ سُـقْمِي، وَبُرْئِـيَ مِـنْ وَجْـدِي

ملاعبُ لهوٍ، طالمـا سِـرتُ بينَهـا ... علـى أثَـرِ اللّـذاتِ فـى عيشـةٍ رَغـدِ

إذَا ذَكَرَتْهَـا الـنَّفْسُ سَـالَتْ مِـنَ الأسَـى ... مــعَ الــدَّمعِ ، حَتَّـى لا تُنَهنَـهُ بــالرَدِّ

فَيَا مَنْـزِلاً رَقْرَقْتُ مـاءَ شَـبيبَتِي ... بِأَفْنَائِــهِ بَــيْنَ الأرَاكَــةِ والرَّنــدِ

سرَت سحَراً فاستَقبلتكَ يدُ الصبا ... بِأنْفَاسِــهَا، وَانْشَــقَّ فَجْــرُكَ بِالْحَمــدِ

وزرَّ عليكَ الأفـقُ طـوقَ غمامـة ... خضـيبةٍ كـفِّ البـرقِ حنَّانـةِ الرعـدِ

فلسـتُ بنـاسٍ ليلـةً سـلفَت لَنـا ... بِوَادِيــهِ، والــدُّنْيَا تَغــرُّ بِمَــا تُسْـدِي

إِذَا الْعَيْشُ رَيَّـانُ الأَمَالِيـدِ، والْهَـوَى ... جَدِيـدٌ، وَإِذْ «لَمْيَـاءُ» صَـافِيَةُ الْـوُدِّ

مُنَعَّمـةٌ ، لِلبـدرِ مـا فـى قِناعهـا ... وَلِلْغُصْـنِ مـا دَارَتْ بِـهِ عُقْدَةُ الْبَنْدِ

سَـبَتنى بعينهـا ، وقالـت لِتِربهـا ... ألاَ مَـا لِهَذَا الْغِرِّ يَتْبَعُنِـي قَصْدِي؟

وَلَمْ تَدْرِ ذَاتُ الْخَالِ وَالْحُبُّ فَاضِحٌ ... بـأنَّ الَـذى أخفيـهِ غيـرَ الـذى أبـدى

حَنَانَيْكِ، إنَّ الـرَّأيَ حَـارَ دَلِيلُـهُ ... فَضَلَّ، وعادَ الْهَزْلُ فِيكِ إِلَـى الْجِدِّ

فَلاَ تَسْـأَلِي مِنِّـي الزِّيَـادَةَ فـي الْهَوَى ... رُويـداً ، فهـذا الوجـدُ آخـرُ مـا عنـدِى

****

وإنِّـى لمقـدامٌ علـى الهـولِ والـردى ... بنَفسـى، وفـى الأقـدامِ بـالنَفسِ مـا يُـردى

وإنــى لقـوالٌ إذا التـبسَ الهُـدى ... وجـارَت حُلـومُ القـومِ عن سننِ القصدِ

فإن صُلتُ فدَّانى الكمِـىُّ بنفسـهِ ... وإن قلـتُ لبَّـانى الوليـدُ مـنَ المهـدِ

كــذلِكَ إنِّــى قائــلٌ ثُــمَّ فاعــلٌ ... فعـالى، وغيـرى قَد يُنيـرُ ولا يُسـدى

****

وقال في الحنين إلى مصر

أَبَابلُ رَأْيَ الْعَيْنِ أَمْ هَذِهِ مِصْرُ ... فَإِنِّي أَرَى فيها عُيُونًا هِيَ السِّحْرُ؟

نَوَاعِسُ أَيْقَظْنَ الْهَوَى بِلَوَاحظٍ ... تَدِينُ لَهَا بِالْفَتْكَةِ الْبِيضُ وَالسُّمرُ

فَلَيْسَ لِعَقْلٍ دُونَ سُلْطَانِهَا حِمًى ... وَلا لِفُؤَادٍ دُونَ غِشْيَانِهَا سِتْرُ

فَإِنْ يَكُ مُوسَى أَبْطَلَ السِّحْرَ مَرَّةً ... فَذَلِكَ عَصْرُ الْمُعْجِزَاتِ وَذَا عَصْرُ

فَأَيُّ فُؤادٍ لا يَذُوبُ صَبَابَةً ... وَمُزْنَةِ عَيْنٍ لا يَصُوبُ لَهَا قَطْرُ

بِنَفْسِي وَإِنْ عَزَّتْ عَلَيَّ رَبِيبَةٌ ... مِنَ الْعِينِ فِي أَجْفَانِ مُقْلَتِهَا فَتْرُ

فَتَاةٌ يَرِفُّ الْبَدْرُ تَحْتَ قِناعِهَا ... وَيَخْطِرُ فِي أَبْرَادِهَا الْغُصْنُ النَّضْرُ

تُرْيكَ جُمَانَ الْقَطْرِ فِي أَقْحُوانَةٍ ... مُفَلّجَةِ الأَطْرَافِ قِيلَ لَهَا ثَغْرُ

تَدِينُ لِعَيْنَيْهَا سَوَاحِرُ بَابِلٍ ... وَتَسْكَرُ مِنْ صَهْبَاءِ رِيقَتِهَا الْخَمْرُ

فَيا رَبَّةَ الْخِدْرِ الّذِي حَالَ دُونَهُ ... ضَرَاغِمُ حَرْبٍ غَابُهَا الأَسَلُ السُّمْرُ

أَمَا مِنْ وِصَالٍ أَسْتَعِيذُ بِأُنْسِهِ ... نَضَارَةَ عَيْشٍ كَانَ أَفْسَدَهُ الْهَجْرُ

رَضِيتُ مِنَ الدُّنْيَا بِحُبِّكِ عَالِمًا ... بِأَنَّ جُنُونِي فِي هَوَاكِ هُوَ الفخْرُ

فَلا تَحْسَبِي شَوْقِي فُكَاهَةَ مَازِحٍ ... فَمَا هُوَ إلا الْجَمْرُ أَوْ دُونَهُ الْجَمْرُ

هَوًى كَضِمِيرِ الزَّنْدِ لَوْ أَنَّ مَدْمَعِي ... تَأَخَّرَ عَنْ سُقْيَاهُ لاحْتَرَقَ الصَّدْرُ

إِذَا مَا أَتَيْتُ الْحَيَّ فَارَتْ بِغَيْظِهَا ... قُلُوبُ رِجَالٍ حَشْوُ آماقِها الْغَدْرُ

يَظُنُّونَ بِي شرًّا وَلَسْتُ بِأَهْلِهِ ... وَظَنُّ الْفَتَى مِنْ غَيْرِ بَيِّنَةٍ وِزْرُ

وَمَاذَا عَلَيْهِمْ إِنْ تَرَنَّمَ شَاعِرٌ ... بِقَافِيَةٍ لا عيْبَ فِيهَا وَلا نُكْرُ

أَفِي الْحَقِّ أَنْ تَبْكِي الْحَمَائِمُ شَجْوَها ... وَيُبْلَى فَلا يَبْكِي عَلَى نَفْسِهِ حُرُّ

وَأَيُّ نَكِيرٍ فِي هَوًى شَبَّ وَقْدُهُ ... بِقَلْبِ أَخِي شَوْقٍ فَبَاحَ بِهِ الشِّعْرُ

فَلا يَبتَدِرْنِي بِالْمَلَامَةِ عَاذِلٌ فَإِنَّ الْهَوَى فِيهِ لِمُعْتَذِرٍ عُذْرُ
إِذَا لَمْ يَكُنْ لِلْحُبِّ فَضْلٌ عَلَى النُّهَى لَمَا ذَلَّ حَيٌّ لِلْهَوَى وَلَهُ قَدْرُ
وَكَيْفَ أَسُومُ الْقَلْبَ صَبْرًا عَلَى الْهَوَى وَلَمْ يَبْقَ لِي فِي الْحُبِّ قَلْبٌ وَلا صَبْرُ؟
لِيَهْنَ الْهَوَى إِنِّي خَضَعْتُ لِحُكْمِهِ وَإِنْ كَانَ لِي فِي غَيْرِهِ النَّهْيُ وَالأَمْرُ
وَإِنِّي امْرُؤٌ تَأبَى لِيَ الضَّيْمَ صَوْلَةٌ مَوَاقِعُهَا فِي كُلِّ مُعْتَرَكٍ حُمْرُ
أَبِيٌّ عَلَى الْحِدْثَانِ لا يَسْتَفِزُّنِي عَظِيمٌ وَلا يَأوِي إِلَى سَاحَتِي ذُعْرُ
إِذَا صُلْتُ صَالَ الْمَوْتُ مِنْ وَكَرَاتِهِ وَإِنْ قُلْتُ أَرْخَى مِنْ أَعِنَّتِهِ الشِّعْرُ

****

وقال عن الدهر ومعاناة الحياة

لِكُلِّ حَيٍّ نَذِيرٌ مِنْ طَبِيعَتِهِ يُوحِي إِلَيهِ بِمَا تَعْيَا بِهِ النُّذُرُ
يَرْجُو وَيَخْشَى أُمُورًا لَوْ تَدَبَّرَهَا لَزَالَ مِنْ قَلْبِهِ التَّأْمِيلُ وَالْحَذَرُ
تَرَاهُ يَسْعَى لِجَمْعِ الْمَالِ مُعْتَقِدًا أَنَّ الْفَتَى مَنْ لَدَيْهِ السَّامُ وَالشَّذَرُ
وَكَيْفَ تَنْقَى ثِيابُ الْمَرْءِ مِنْ دَنَسٍ وَقَلْبُ لابِسِهَا مِنْ غَدْرِهِ قَذِرُ
يَا فَارِسَ الْخَيْلِ كَفْكِفْ عَنْ أَعِنَّتِهَا فَقَدْ شَكَتْ فِعْلَكَ الأَحْلَاسُ وَالْعُذُرُ
إِنْ كُنْتَ تَبْغِي بِهَا مَا لَسْتَ تَبْلُغُهُ مِنَ الْبَقَاءِ فَبِئْسَ الْبُطْلُ وَالْهَذَرُ
إِنَّ الْحَيَاةَ وَإِنْ طَالَتْ إِلَى أَمَدٍ وَالدَّهْرُ قُرْحَانُ لا يُبْقِي وَلا يَذَرُ
لا يَأْمَنُ الصَّامِتُ الْمَعْصُومُ صَوْلَتَهُ وَلا يَدُومُ عَليهِ النَّاطِقُ البَذِرُ

فَاضْرَعْ إِلَى اللهِ وَاسْتَوهِبْهُ مَغْفِرَةً ... تَمْحُو الذُّنُوبَ فَجَانِي الذَّنْبِ يَعْتَذِرُ

وَاعْجَلْ وَلا تَنْتَظِرْ تَوْبًا غَدَاةَ غَدٍ ... فَلَيْسَ فِي كُلِّ حِينٍ تُقبَلُ الْعذَرُ

هَيْهَاتَ لا يَسْتَوِي الشَّخْصَانِ فِي عَملٍ ... هَذَا صَحِيحٌ وَهَذَا فَاسدٌ مَذِرُ

وَقَالَ وهو في جَزيرةِ سَرَنْدِيبَ وَقَدْ رَأَى ابْنَتَهُ الْوُسْطَى في الْمَنام:

تَأَوَّبَ طَيْفٌ مِنْ سَمِيرَةَ زَائِرٌ ... وَمَا الطَّيْفُ إِلَّا مَا تُرِيهِ الْخَوَاطِرُ

طَوَى سُدْفَةَ الظَّلْمَاءِ وَاللَّيْلُ ضَارِبٌ ... بَأَرْوَاقِهِ وَالنَّجْمُ بِالأُفْقِ حَائِرُ

فَيَا لَكَ مِنْ طَيْفٍ أَلَمَّ وَدُونَهُ ... مُحِيطٌ مِنَ الْبَحْرِ الْجَنُوبِيِّ زَاخِرُ

تَخَطَّى إِلَيَّ الأَرْضَ وَجْدًا وَمَا لَهُ ... سِوَى نَزَواتِ الشَّوْقِ حَادٍ وَزَاجِرُ

أَلَمَّ وَلَمْ يَلْبَثْ وَسَارَ وَلَيْتَهُ ... أَقَامَ وَلَوْ طَالَتْ عَلَيَّ الدَّيَاجِرُ

تَحَمّلَ أَهْوَالَ الظَّلامِ مُخَاطِرًا ... وَعَهْدِي بِمَنْ جَادَتْ بِهِ لا تُخَاطِرُ

خُمَاسِيَّةٌ لَمْ تَدْرِ مَا اللَّيْلُ وَالسُّرَى ... وَلَمْ تَنْحَسِرْ عَنْ صَفْحَتَيْهَا السَّتَائِرُ

فَيَا بُعْدَ مَا بَيْنِي وَبَيْنَ أَحِبَّتِي ... وَيَا قُرْبَ مَا الْتَفَّتْ عَلَيهِ الضَّمائِرُ

وَلَوْلا أَمانِي النَّفْسِ وَهْيَ حَيَاتُهَا ... لَمَا طَارَ لِي فَوْقَ الْبَسِيطَةِ طَائِرُ

فَإِنْ تَكُنِ الأَيَّامُ فَرَّقْنَ بَيْنَنَا ... فَكُلُّ امْرِئٍ يَومًا إِلَى اللهِ صَائِرُ

صَبَرْتُ عَلَى كُرْهٍ لِمَا قَدْ أَصَابَنِي ... وَمَنْ لَمْ يَجِدْ مَنْدُوحَةً فَهْوَ صَابِرُ

وَمَا الْحِلْمُ عِنْدَ الْخَطْبِ وَالْمَرْءُ عَاجِزٌ بِمُسْتَحْسَنٍ كَالْحِلْمِ وَالْمَرْءُ قَادِرُ
وَلَكِنْ إِذَا قَلَّ النَّصِيرُ وَأَعْوَزَتْ دَوَاعِي الْمُنى فَالصَّبْرُ فِيهِ الْمَعَاذِرُ
فَلا يَشْمَتِ الأَعْدَاءُ بِي فَلَرُبَّمَا وَصَلْتُ لِمَا أَرْجُوهُ مِمَّا أُحَاذِرُ
فَقَدْ يَسْتَقِيمُ الأَمْرُ بَعْدَ اعْوِجَاجِهِ وَتَنْهَضُ بِالْمَرْءِ الْجُدُودُ الْعَوَاثِرُ
وَلِي أَملٌ فِي اللهِ تَحْيَا بِهِ الْمُنَى وَيُشْرِقُ وَجْهُ الظَّنِّ وَالْخَطْبُ كَاشِرُ
إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَرْكَنْ إِلَى اللهِ فِي الَّذِي يُحَاذِرُهُ مِنْ دَهْرِهِ فَهْوَ خَاسِرُ
وَإِنْ هُوَ لَمْ يَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَهُ فَلَيْسَ لَهُ فِي مَعْرِضِ الْحَقِّ نَاصِرُ
وَمَنْ لَمْ يَذُقْ حُلْوَ الزَّمَانِ وَمُرَّهُ فَمَا هُوَ إِلا طَائِشُ اللُّبِّ نَافِرُ
وَمَا حَملَ السَّيْفَ الْكَمِيُّ لِزِينَةٍ وَلَكِنْ لأَمْرٍ أَوْجَبَتْهُ الْمفَاخِرُ
إِذَا لَمْ يَكُنْ إِلا الْمَعِيشَةَ مَطْلَبٌ فَكُلُّ زَهِيدٍ يُمْسِكُ النَّفْسَ جَابرُ
فَلَوْلا الْعُلا مَا أَرْسَلَ السَّهْمَ نَازِعٌ وَلا شَهَرَ السَّيْفَ الْيَمَانِيَّ شَاهرُ
مِنَ الْعَارِ أَنْ يَرْضَى الدَّنِيَّةَ مَاجِدٌ وَيَقْبَلَ مَكْذُوبَ الْمُنَى وَهْوَ صَاغِرُ
عَلَيَّ طِلابُ الْعِزِّ منْ مُسْتَقَرِّهِ وَلا ذَنْبَ لِي إِنْ عَارَضَتْنِي الْمَقَادِرُ
فَمَاذَا عَسَى الأَعْدَاءُ أَنْ يَتَقَوَّلُوا عَلَيَّ وَعِرْضِي نَاصِحُ الْجَيْبِ وَافِرُ
وَلَو رُمْتُ مَا رَام امرُؤٌ بِخِيَانَةٍ لَصَبَّحَنِي قِسْطٌ مِنَ الْمَالِ غَامِرُ
وَلَكِنْ أَبَتْ نَفْسِي الْكَرِيمَةُ سَوْأَةً تُعَابُ بِهَا والدَّهْرُ فِيهِ الْمعَايِرُ

فَـلا تَحْسَـبَنَّ الْمَـالَ يَنْفَـعُ رَبَّـهُ إِذَا هـوَ لَـمْ تَحْمـدْ قـرَاهُ الْعَشَـائِرُ

فَقَدْ يَسْتَجِمُّ الْمَالُ وَالْمَجْدُ غَائِبٌ وَقدْ لا يَكُونُ الْمَالُ وَالْمَجْدُ حَاضِرُ

وَلَوْ أَنَّ أَسْبَابَ السِّيَادَةِ بِالْغِنَى لَكَـاثَرَ رَبَّ الْفَضْـلِ بِالْمَـالِ تَـاجِرُ

فَلا غَرْوَ أَنْ حُزْتُ الْمَكَارِمَ عَارِيًا فَقَدْ يَشْـهَدُ السَّيْفُ الْـوَغَى وَهْوَ حَاسِـرُ

أَنَا الْمَرْءُ لا يَثْنِيهِ عَنْ دَرَكِ الْعُلا نَعِـيمٌ وَلا تَعْـدُو عَلَيْـهِ الْمَفَـاقِرُ

قَئُولٌ وَأَحْلَامُ الرِّجالِ عَوَازِبٌ صَـئُولٌ وَأَفْـوَاهُ الْمنَايَـا فَـوَاغِرُ

فَـلا أَنَـا إِنْ أَدْنَـانِيَ الْوَجْدُ بَاسِمٌ وَلا أَنَـا إِنْ أَقْصَـانِيَ الْعُـدْمُ بَاسِـرُ

فَمَـا الْفَقْـرُإِنْ لَـمْ يـدْنَسِ الْعِـرْضُ فَاضِـحٌ وَلا الْمَالُ إِنْ لَمْ يَشْرُفِ الْمَرْءُ سَاتِرُ

فَكَـمْ بَطَـلٍ فَـلَّ الزَّمَـانُ شَـبَاتَهُ وَكَـمْ سَـيِّدٍ دَارتْ عَلَيْـهِ الـدَّوائِرُ

وَأَيُّ حُسَـامٍ لَـمْ تُصِـبْهُ كَلالَـةٌ وَأَيُّ جَـوَادٍ لَـمْ تَخُنْـهُ الْحَـوَافِرُ

فَسَوْفَ يَبِينُ الْحَـقُّ يَوْمًـا لِنَـاظِرٍ فَمَهْـلا بَنِـي الـدُّنْيَا عَلَينَـا فَإِنَّنَـا

إِلَـى غَايَـةٍ تَنفَـتُّ فَيهَـا الْمَرَائـرُ تَطُولُ بِهَا الأَنْفَاسُ بُهْرًا وَتَلْتَوِي

عَلَـى فَلْكَـةِ السَّـاقَيْنِ فِيهَـا الْمَـآزِرُ هُنَالِكَ يَعْلُو الْحَـقُّ وَالْحَـقُّ وَاضِـحٌ

وَيَسْفُلُ كَعْبُ الزُّورِ وَالزُّورُ عَاثِرُ وَعَمَّـا قَلِيـلٍ يَنْتَهِـي الأَمْـرُ كُلُّـهُ

فَمَا أَوَّلٌ إِلا وَيَتْلوهُ آخِرُ

وقال يتشوق إلى مصر ويبكي على أيام الصبا

ردوا علي الصبا من عصري الخالي ... وهل يعود سواد اللمة البالي؟

ماض من العيش ما لاحت مخايله ... في صفحة الفكر إلا هاج بلبالي

أدهى المصائب غدر قبله ثقة ... وأقبح الظلم صد بعد إقبال

قلبي سليم ونفسي حرة ويدي ... مأمونة ولساني غير ختال

بلوت دهري فما أحمدت سيرته ... في سابق من لياليه ولا تالي

حلبت شطريه من يسر ومعسرة ... وذقت طعميه من خصب وإمحال

لم يبق لي أرب في الدهر أطلبه ... ألا صحابة حر صادق الخال

وأين أدرك ما أبغيه من وطر ... والصدق في الدهر أعيا كل محتال

لا في(سر نديب) لي إلف أجاذبه ... فضل الحديث ولا خل فيرعى لي

أبيت منفرداً في رأس شاهقة ... مثل القطامي فوق المربأ العالي

إذا تلفت لم أبصر سوى صور ... في الذهن يرسمها نقاش آمالي

علام أجزع والأيام تشهد لي ... بصدق ما كان من وسمي وأغفالي؟

راجعت فهرس آثاري فما لمحت ... بصيرتي فيه ما يزري بأعمالي

فكيف ينكر قومي فضل بادرتي ... وقد سرت حكمي فيهم وأمثالي

أنا ابن قولي وحسبي في الفخار به ... وإن غدوت كريم العم والخال

ولـي مـن الشـعر آيـات مفصـلة تلـوح فــي وجنــة الأيــام كالخــال

ينسـى لهـا الفاقـد المحـزون لوعتـه ويهتـــدي بســـناها كـــل قـــوَّال

فـانظر لقـولي تجـد نفسـي مصـورة فــي صــفحتيه فقــولي خــط تمثــالي

ولا تغرنـك فـي الـدنيا مشـاكلة بــين الأنــام فلــيس النبــع كالضــال

إن أبــن آدم لــولا عقلــه شــبح مركـــب مـــن عظـــام ذات أوصـــال

وقال يَفْخَرُ، وَيُعَرِّضُ بالمَظَالِم
على عهد الحُكُومَةِ الاسْتِبْدَادِيَّة:

رَضِـيتُ مِـنَ الـدُّنْيَا بِمَـا لا أَوَدُّهُ وَأَيُّ امْـرِئ يَقْـوَى عَلَـى الـدَّهْرِ زَنْـدُهُ

أُحَاوِلُ وَصْلا وَالصُّدُودُ خَصِيمُهُ وَأَبْغِـــي وَفَـــاءً وَالطَّبِيعَـــةُ ضِـــدُّهُ

حَسِبْتُ الْهَوَى سَهْلا، ولَمْ أَدْرِ أَنَّـهُ أَخُــو غَــدَرَاتٍ يَتْبَــعُ الْهَــزْلَ جِــدُّهُ

تَخِـفُ لَـهُ الأَحْـلامُ وَهْـيَ رَزِينَـةٌ وَيَعْنُـو لَـهُ مِـنْ كُـلِّ صَـعْبٍ أَشَـدُّهُ

وَمنْ عَجَـبٍ أَنَّ الْفَتَـى وَهْوَ عَاقِلٌ يُطِيـعُ الْهـوَى فِيمـا يُنَافِيـهِ رُشْـدُهُ

يفِرُّ مِنَ السُّلْوَانِ، وَهْوَ يُرِيحُهُ وَيَـأْوِي إِلـى الأشْـجَانِ وَهْـيَ تَكُـدُّهُ

وَمَا الْحبُّ إِلا حاكِمٌ غَيرُ عَـادِلٍ إِذا رامَ أَمْـرًا لَـمْ يَجِـدْ مَـنْ يَصُـدُّهُ

لَهُ مِنْ لَفِيفِ الْغِيدِ جَيْشُ مَلاحَةٍ تُغِيـرُ عَلَـى مَثْـوَى الضَّـمائِرِ جُنْـدُهُ

ذوَابِلـــهُ قَامَاتُـــهُ، وَســـيُوفُهُ لِحَـاظُ الْعـذَارَى، وَالْقَلَائِـدُ سَـرْدُهُ

إِذَا مَـاجَ بـالْهيفِ الْحِسَـانِ، تَأَرَّجَـتْ   مَسَــالِكُهُ، وَاشْـتَقَّ فِــي الْجَــوِّ نَــدُّهُ

فَــأيُّ فُــوادٍ لا تَــذُوبُ حَصــاتُهُ   غَرامًـا، وَطَـرْفٍ لَـيْسَ يُقْذِيـهِ سُـهْدُهُ

بَلَوتُ الْهَوَى حَتَّى اعْتَرَفْتُ بِكُلِّ مَا   جَهِلْـتُ، فَـلا يَغْـرُرْكَ فَالصَّـابُ شَـهْدُهُ

ظَلُـومٌ لَـهُ فِـي كُـلِّ حَـيٍّ جَرِيـرَةٌ   يَضِـجُّ لَهَـا غَـوْرُ الْفَضَـاءِ وَنَجْـدُهُ

إِذَا احْتَـلَّ قَلبًـا مُطْمَئِنًـا تَحَرَّكَـتْ   وَسَاوِسُـهُ فِـي الصَّـدْرِ، وَاخْتَـلَّ وَكْـدُهُ

فــإِنْ كُنْــتَ ذا لُــبٍّ فَــلا تَقرَبَنَّــهُ   فَغيــرُ بعيــدٍ أَنْ يُصِــيبَكَ حَــدُّهُ

وقد كُنْتَ أَوْلى بِالنَّصِيحَةِ لَوْ صَغَا   فُؤادِي، ولَكِنْ خَـالَفَ الْحَـزْمَ قَصْـدُهُ

إِذَا لَـم يَكُـنْ لِلْمَـرْءِ عَقْـلٌ يَقُـودُهُ   فَيُوشِــكُ أَنْ يَلقَــى حُسَــامًا يَقُــدُّهُ

لَعَمرِي لَقَدْ وَلَّى الشَّبَابُ، وَحَلَّ بِي   مِنَ الشَّـيْبِ خَطْـبٌ لا يُطَـاقُ مَـرَدُّهُ

فَـأَيُّ نَعِيمٍ فِـي الزَّمَـانِ أرُومُـهُ؟   وَأَيُّ خَلِيــــلٍ لِلْوفَــــاءِ أُعِــــدُّهُ

وَكَيفَ أَلُومُ الناسَ فِي الْغَدْرِ بَعْدَمَا   رَأَيْــتُ شَــبابي قَــدْ تَغَيَّــرَ عَهْــدُهُ

وَأَبْعَـدُ مَفقُـودٍ شَـبَابٌ رَمَـتْ بِـهِ   صُـرُوفُ اللَّيَـالِي عِنْـدَ مَـنْ لا يَـرُدُّهُ

فَمَـنْ لِـي بِخِـلٍّ صَـادِقٍ أَسْـتَعِينُهُ   عَلــى أَمَلِــي، أَوْ نَاصِــرٍ أَسْـتَمِدُّهُ

صَحِبْتُ بَنِي الدُّنْيَا طَوِيلا فَلَمْ أَجِدْ   خَلِـيلًا، فَهَـلْ مِـنْ صَـاحِبٍ أَسْـتَجِدُّهُ

فَأَكْثَرُ مَنْ لاقَيتُ لَمْ يَصْفُ قَلْبُهُ   وَأَصْـدَقُ مَـنْ وَالَيـتُ لَـمْ يُغْـنِ وُدُّهُ

أُطَـالِبُ أَيَّـامِي بمـا لَـيْسَ عِنْـدَهَا   وَمَـنْ طَلَـبَ الْمَعْـدُومَ أَعْيَـاهُ وُجْـدُهُ

فَمَا كُلُّ حَيٍّ يَنْصُرُ الْقَوْلَ فِعْلُهُ ... وَلا كُلُّ خِلٍّ يَصْدُقُ النَّفْسَ وَعْدُهُ

وَأَصْعَبُ ما يَلْقَى الْفَتَى فِي زَمَانِهِ ... صَحابَةُ مَنْ يَشْفِي مِنَ الدَّاءِ فَقْدُهُ

وَلِلنُّجْحِ أَسْبَابٌ إِذَا لَمْ يَفِزْ بها ... لَبِيبٌ مِنَ الْفِتْيَانِ لَمْ يُورِ زَنْدُهُ

وَلكِنْ إِذَا لمْ يُسْعِدِ الْمَرْءَ جَدُّهُ ... عَلى سَعْيِهِ لَمْ يَبْلُغِ السُّؤْلَ جِدُّهُ

وَما أَنَا بِالْمغْلُوبِ دُونَ مَرامِهِ ... وَلَكِنَّهُ قَدْ يَخْذُلُ الْمَرْءَ جَهْدُهُ

وما أُبْتُ بالحِرْمَانِ إلا لأَنّني ... أَوَدُّ مِنَ الأَيَّامِ مَالا تَوَدُّهُ

فَإِنْ يَكُ فَارَقْتُ الرِّضَا فَلَبَعْدَمَا ... صَحِبْتُ زَمانًا يُغْضِبُ الْحُرَّ عَبْدُهُ

أَبَى الدَّهْرُ إِلَّا أَنْ يَسُودَ وَضِيعُهُ ... وَيَملِكَ أَعْنَاقَ الْمَطَالِبِ وَغْدُهُ

تَدَاعَتْ لِدَرْكِ الثَّأْرِ فِينَا ثُعالُهُ ... وَنَامَتْ عَلَى طُولِ الْوَتِيرَةِ أُسْدُهُ

فَحَتامَ نَسْرِي فِي دَيَاجِيرِ مِحْنَةٍ ... يَضِيقُ بِهَا عَنْ صُحْبَةِ السَّيْفِ غِمْدُهُ

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَدْفَعْ يَدَ الْجَوْرِ إِنْ سَطَتْ ... عَلَيهِ، فَلَا يَأْسَفْ إِذَا ضَاعَ مَجْدُهُ

وَمَنْ ذَلَّ خَوْفَ الْموتِ، كَانَتْ حَيَاتهُ ... أَضَرَّ عَلَيهِ مِنْ حِمامٍ يَؤُدُّهُ

وَأَقْتَلُ دَاءٍ رُؤْيَةُ الْعَينُ ظَالِمًا ... يُسِيءُ، وَيُتْلَى فِي الْمَحَافِلِ حَمْدُهُ

عَلامَ يَعِيشُ الْمَرْءُ فِي الدَّهْرِ خَامِلا ... أَيَفْرَحُ فِي الدُّنْيَا بِيَوم يَعُدُّهُ؟

يَرَى الضَّيْمَ يَغْشَاهُ فَيَلْتَذُّ وَقْعَهُ ... كَذِي جرَبٍ يَلْتَذُّ بِالْحَكِّ جِلْدُهُ

إِذَا الْمَرْءُ لَاقَى السَّيْلَ ثُمَّتَ لَمْ يَعُجْ ... إِلى وَزَرٍ يَحْميهِ أَرْدَاهُ مَدُّهُ

عَفَـاءٌ عَلَـى الـدُّنْيَا إِذَا الْمَـرْءُ لَـمْ يَعِشْ   بِهَـا بَطَـلا يَحْمِـي الْحَقِيقَـةَ شَـدُّهُ

مِـنَ الْعَـارِ أَنْ يَرْضَـى الْفَتَـى بِمَذَلَّـةٍ   وَفِـي السّـيفِ مَـا يَكْفِـي لِأَمْـرٍ يُعِـدُّهُ

وَإِنِّـي امْـرُؤٌ لَا أَسْـتَكِينُ لِصَـوْلَةٍ   وَإِنْ شَـدَّ سَـاقِي دُونَ مَسْـعَايَ قَـدُّهُ

أَبَتْ لِي حَمْلَ الضَّيْمِ نَفْسٌ أَبِيَّةٌ   وَقَلْـبٌ إِذَا سِـيمَ الأَذَى شَـبَّ وَقْـدُهُ

نَمَـانِي إِلَـى الْعَلْيَـاءِ فَـرْعٌ تَـأَثَّلَـتْ   أَرُومتُــهُ فِــي الْمَجْـدِ وَافْتَـرَّ سَـعْدُهُ

وَحَسْبُ الْفَتَى مَجْدًا إِذَا طَالَبَ الْعُلَا   بِمَــا كَــانَ أَوْصَــاهُ أَبُــوهُ وَجَــدُّهُ

أَصُدُّ عَنِ الْمَرْمَـى الْقَرِيـبِ تَرَفُّعًـا   وَأَطْلُـبُ أَمْـرًا يُعْجِـزُ الطَّيـرَ بُعْـدُهُ

فَإِمَّا حَيَاةٌ مِثْلُ مَا تَشْتَهِي الْعُلا   وَإِمَّـا رَدًى يَشْـفِي مِـنَ الـدَّاءِ وَفْـدُه

وعَلَى رَوِيِّ قَصِيدةِ النَّابِغَةِ الذُّبْيَانيِّ التي أَوَّلُها

أَمِنْ آلِ مَيَّةَ رَائِحٌ أَوْ مُغْتَدِ

عَجْلَانَ ذَا زَادٍ وَغَيْرَ مُزَوَّدِ

قال متغزلا :

ظَنَّ الظُّنُونَ فَبَاتَ غَيرَ مُوَسَّدِ ... حَيرَانَ يَكْلأُ مُسْتَنِيرَ الفرْقَدِ

قَالُوا غَدًا يَوْمُ الرَّحِيلِ وَمَنْ لَهُمْ ... خَوْفَ التَّفَرُّقِ أَنْ أَعِيشَ إِلَى غَدِ

هِيَ مُهْجَةٌ ذَهَبَ الْهَوَى بِشَغَافِهَا ... مَعْمُودَةٌ إِنْ لَمْ تَمُتْ فَكَأَنْ قَدِ

يَا أَهْلَ ذَا الْبَيتِ الرَّفِيعِ مَنَارُهُ ... أَدْعُوكُمُ يَا قَوْمُ دَعْوَةَ مُقْصَدِ

إِنِّي فَقَدْتُ الْيَومَ بَيْنَ بُيُوتِكُمْ ... عَقلِي فَرُدُّوهُ عَلَيَّ لأَهْتَدِي

أَوْ فَاسْتَقيدُونِي بِبَعضِ قِيَانِكُمْ ... حَتَّى تَرُدَّ إِلَيَّ نَفْسِي أَوْ تَدِي

بَل يَا أَخَا السَّيفِ الطَّوِيلِ نِجَادُهُ ... إِنْ أَنْتَ لَمْ تَحْمِ النَّزِيلَ فَأَغْمِدِ

هَذِي لِحَاظُ الْغِيدِ بَيْنَ شِعَابِكُمْ ... فَتكَتْ بِنَا خَلْسًا بِغَيرِ مُهَنَّدِ

مِنْ كُلِّ نَاعِمَةِ الصِّبَا بَدَوِيَّةٍ ... رَيَّا الشَّبَابِ سَلِيمَةِ الْمُتَجَرِّدِ

هَيْفَاءَ إِنْ خَطَرَتْ سَبَتْ وَإِذَا رَنَتْ ... سَلَبتْ فُؤَادَ الْعَابِدِ الْمُتَشَدِّدِ

يَخْفِضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ تَخَتُّلا ... لِلنَّفسِ فِعْلَ الْقَانِتَاتِ الْعبَّدِ

فَإِذَا أَصَبْنَ أَخَا الشَّبَابِ سَلَبْنَهُ ... وَرَمَيْنَ مُهْجَتَهُ بِطَرْفٍ أَصْيَدِ

وَإِذَا لَمَحْنَ أَخَا المَشِيبِ قَلَيْنَهُ وَسَـتَرْنَ ضَـاحِيَةَ الْمَحَاسِـنِ بِالْيَـدِ

لا يَنْطِقُـونَ بِغيْـرِ مـا أَمَـرَ الْهَـوَى فَكَلامُهُـمْ كَـالرَّوْضِ مَصْـقُولٌ نَـدِي

مِـنْ كُـلِّ وَضَّـاحِ الْجَبِـينِ كَأَنَّـهُ قَمَــرٌ تَوَسّــطَ جُــنْحَ لَيــلٍ أَسْــوَدِ

بَلْ رُبَّ غَانِيَةٍ طَرَقْتُ خِبَاءَهَا وَالـنَّجْمُ يَطْـرِفُ عَـنْ لَـواحِظِ أَرْمَـدِ

قَالَتْ وَقَدْ نَظَرَتْ إِلَيَّ فَضَحْتَنِي فَـارْجِعْ لِشَـأْنِكَ فَالرِّجَـالُ بِمَرْصَـدِ

فَخَلَبْتُهَـا بِـالْقَولِ حَتَّـى رُضْـتُهَا وَطَوَيْتُهَــا طَــيَّ الْحَبِيــرَةِ بِالْيَــد

وقال وهو بأقريطش أيَّام الحربِ
يَتَشَوَّقُ إلى مصْرَ سنة ١٢٨٢هـ

سَرَى الْبَرْقُ مِصْرِيًّا فَأَرَّقَنِي وَحْدِي ... وَأَذْكَرَنِي مَا لَسْتُ أَنْسَاهُ مِنْ عَهْدِ

فَيَا بَرْقُ حَدِّثْنِي وَأَنْتَ مُصَدَّقٌ ... عَنِ الآلِ والأَصْحَابِ مَا فَعَلُوا بَعْدِي

وَعَنْ رَوْضَةِ الْمِقْيَاسِ تَجْرِي خِلالَها ... جَدَاوِلُ يُسْدِيهَا الْغَمَامُ بِمَا يُسْدِي

إِذَا صَافَحَتْهَا الرِّيحُ رَهْوًا تَجَعَّدَتْ ... حَبَائِكُهَا مِثْلَ الْمُقَدَّرَةِ السَّرْدِ

وَإِنْ ضَاحَكَتْهَا الشَّمْسُ رَفَّتْ كَأَنَّهَا ... مَنَاصِلُ سُلَّتْ لِلضِّرَابِ مِنَ الْغِمْدِ

نَعِمْتُ بِهَا دَهْرًا وَمَا كُلُّ نِعْمَةٍ ... حَبتْكَ بِهَا الأَيَّامُ إلا إِلَى الرَّدِّ

فَوَا أَسَفَا إِذْ لَيْسَ يُجْدِي تَأَسُّفٌ ... عَلَى مَا طَواهُ الدَّهْرُ مِنْعَيْشِنَا الرَّغْدِ

إِذ الدَّهْرُ سَمْحٌ وَاللَّيالِي سَمِيعَةٌ ... وَلَمْيَاءُ لَمْ تُخْلِفْ بِلَيَّانِهَا وَعْدِي

فَتَاةٌ تُرِيكَ الشَّمْسَ تَحْتَ خِمَارِهَا ... إِذَا سَفَرَتْ وَالْغُصْنَ فِي مَعْقِدِ الْبَنْدِ

مِنَ الْفَاتِنَاتِ الْغِيدِ لَوْمرَّ ظِلُّهَا ... عَلَى قَانِتٍ دَبَّتْ بِهِ سَوْرَةُ الْوَجْدِ

فَتَاللهِ أَنْسَى عَهدَها ما تَرَنَّمَتْ ... بَنَاتُ الضُّحَى بَيْنَ الأَرَاكَةِ وَالرَّنْدِ

حَلَفْتُ بِمَا وَارَى الْخِمَارُ مِنَ الْحَيَا ... وَمَا ضَمَّتِ الأَرْدَانُ مِنْ حَسَبٍ عِدِّ

وَبِاللُّؤْلُؤِ الْمَنْضُودِ بَيْنَ يَواقِتٍ ... هِيَ الشَّهْدُ ظَنًّا بَلْ أَلَذُّ مِنَ الشَّهْدِ

يَمينًـا لَـوِ اسْتَسْقَيْتَ أَرْضًـا بـهِ الْحَيَا لَخَاضَ بِهَا الرُّعْيَانُ فِي كَلأٍ جَعْدِ

لأَنْـتِ وَأَيُّ النـاسِ أَنْـتِ حَبِيبَـةٌ إِلَــيَّ وَلَــو عَــذَّبْتِ قَلْبِــيَ بِالصَّــدِّ

إِلَيـكِ سلَبْتُ الْعَيْنَ طِيبَ مَنَامِهَـا وَفِيكِ رَعَيْتُ النَّجْمَ فِـي أُفْقِـهِ وَحْدِي

وَذَلَّلْتُ هَذِي النَّفْسَ بَعْدَ إِبَائِهَـا وَلَـولاكِ لَـمْ تَسْـمَحْ بِحَـلٍّ وَلا عَقْـدِ

سلِي عَنِّـيَ اللّيلَ الطَّوِيلَ فَإِنَّـهُ خَبِيرٌ بِمَـا أُخْفِيـهِ شَـوقًا وَمَـا أُبْـدِي

هَلِ اكْتَحَلَتْ عَيْنَـايَ إِلا بِمَـدْمَعٍ إِذَا ذَكَرَتْـكِ النَّفْسُ سَـالَ عَلَـى خَـدِّي؟

أُصَـبِّرُ عَنْكِ النَّفْسَ وَهْـيَ أَبِيَّـةٌ وَهَيْهَاتَ صَبْرُ الظَّامِئَـاتِ عَنِ الْوِرْدِ

فَهَذَا الَّذِي أَلْقَـاهُ مِنْـكِ عَلَـى النَّـوَى فَرَاخِـي وَثَـاقِي يَـا بْنَـةَ الْقَومِ أَوْ شُدِّي

وقال وهو في حرب الروس
مع الدولة العثمانية سنة ١٢٩٤هـ/١٨٧٧م
وأرسل بها للأستاذ الشيخ «حسين المرصفي»

هُوَ الْبَيْنُ حَتَّى لا سَلامٌ وَلا رَدُّ وَلا نَظْرَةٌ يَقْضِي بِهَا حَقَّهُ الْوَجْدُ
لَقَدْ نَعَبَ الْوَابُورُ بِالْبَيْنِ بَيْنَهُمْ فَسَارُوا وَلا زَمُّوا جِمَالا وَلا شَدُّوا
سَرَى بِهِمُ سَيْرَ الْغمَامِ كَأَنَّمَا لَهُ فِي تَنَائِي كُلِّ ذِي خُلَّةٍ قَصْدُ
فَلا عَيْنَ إِلا وَهْيَ عَينٌ مِنَ الْبُكَى وَلا خَدَّ إِلا لِلدُّمُوعِ بِهِ خَدُّ
لَعَمْرُ الْمَغَانِي وَهْيَ عِنْدِي عَزِيزَةٌ بِسَاكِنِهَا مَا شَاقَنِي بَعْدَهَا عَهْدُ
لَكَانَتْ وَفِيهَا مَا تَرَى عَيْنُ نَاظِرٍ وَأَمْسَتْ وَمَا فِيهَا لِغَيْرِ الأَسَى وَفْدُ
خَلاءٌ مِنَ الأُلاَّفِ إِلا عِصَابَةً حَدَاهُمْ إِلَى عِرْفَانِهَا أَمَلٌ فَرْدُ
دَعَتْهُمْ إِلَيهَا نَفحَةٌ عَنْبَرِيَّةٌ وَبِالنَّفْحَةِ الْحَسْنَاءِ قَدْ يُعْرَفُ الْوَرْدُ
وَقَفْنَا فَسَلَّمْنَا فَرَدَّتْ بِأَلْسُنٍ صَوامتَ إِلا أَنَّهَا أَلْسُنٌ لُدُّ
فَمِنْ مُقْلَةٍ عَبْرَى وَمِنْ لَفْحِ زَفْرَةٍ لَهَا شَرَرٌ بَيْنَ الْحَشَا مَا لَهُ زَنْدُ
فَيَا قَلْبُ صَبْرًا إِنْ أَلَمَّ بِكَ النَّوَى فَكُلُّ فِرَاقٍ أَوْ تَلاقٍ لَهُ حَدُّ
فَقَدْ يُشْعَبُ الإِلْفَانِ أَدْنَاهُمَا الْهَوَى وَيَلْتَئِمُ الضِّدَّانِ أَقْصَاهُمَا الْحِقْدُ
عَلَى هَذِهِ تَجْرِي اللَّيَالِي بِحُكْمِهَا فَآوِنَةً قُرْبٌ وَآوِنَةً بُعْدُ

وَمَـا كُنْتُ لَـوْلا الْحُبُّ أَخْضَـعُ لِلَّتِي تُسِـيءُ وَلَكِـنَّ الْفَتَـى لِلْهَـوَى عَبْـدُ
فَعُـودِيَ صُـلبٌ لا يَلِـينُ لِغَـامِزٍ وَقَلْبِـيَ سَـيْفٌ لا يُفَـلُّ لَـهُ حَـدُّ
إِبَـاءٌ كَمَـا شَـاءَ الْفَخَـارُ وَصَـبْوَةٌ يَـذِلُّ لَهَـا فِـي خِيسِـهِ الأَسَدُ الْـوَرْدُ
وَإِنَّــا أُنَــاسٌ لَـيسَ فِينَـا مَعَابَـةٌ سِـوَى أَنَّ وَادِينَـا بِحُكْـمِ الْهَـوَى نَجْـدُ
نَلِـينُ وَإِنْ كُنَّـا أَشِـدَّاءَ لِلْهَـوَى وَنَغْضَـبُ فِـي شَـرْوَى نَقِيـرٍ فَنَشْـتَدُّ
وَبِـي ظَمَـأٌ لَـمْ يَبْلُـغِ الْمَـاءُ رِيَّـهُ وَفِـي النَّفْسِ أَمْرٌ لَيْسَ يُدْرِكُـهُ الْجَهْدُ
وَكَـمْ مِـنْ يَـدٍ للهِ عِنْـدِي وَنِعْمَـةٍ يَعَـضُّ عَلَيهَـا كَفَّـهُ الْحَاسِـدُ الْوَغْـدُ
أَنَـا الْمَـرْءُ لا يُطْغِيـهِ عِزٌّ لِثَرْوَةٍ أَصَــابَ وَلا يُلْـوِي بِأَخْلاَقِـهِ الْكَـدُّ
أَصُدُّ عَنِ الْموَفُورِ يُدْرِكُهُ الْخَنَا وَأَقْنَــعُ بِالْمَيْسُــورِ يَعْقُبُــهُ الْحَمْـدُ
وَمَـنْ كَـانَ ذَا نَفْسٍ كَنَفْسِـي تَصَـدَّعَتْ لِعِزَّتِــهِ الــدُّنْيَا وَذَلَّــتْ لَــهُ الأُسْـدُ
وَمَـنْ شِـيَمِي حُـبُّ الْوَفَـاءِ سَـجِيَّةً وَمَـا خَيْـرُ قَلْـبٍ لا يَـدُومُ لَـهُ عَهْـدُ
وَلَكِـنَّ إِخْوَانًـا بِمِصْـرَ وَرُفْقَـةً نَسُـونَا فَـلا عَهْـدٌ لَـدَيهِمْ وَلا وَعْـدُ
أَحِـنُّ لَهُـمْ شَـوْقًا عَلَـى أَنَّ دُونَنَـا مَهامِــهَ تَعْيَــا دُونَ أَقْرَبِهــا الرُّبْـدُ
فَيَـا سَـاكِنِي الْفُسْـطَاطِ مَـا بـالُ كُتْبِنَـا ثَـوَتْ عِنْـدَكُمْ شَـهْرًا وَلَـيْسَ لهـا رَدُّ
أَفِـي الْحَقِّ أَنَّـا ذَاكِرُونَ لِعَهْـدِكُمْ وَأَنْــتُمْ عَلَينَــا لــيْسَ يَعْطِفُكُــمْ وُدُّ
فَـلا ضَـيْرَ إِنَّ اللهَ يُعْقِـبُ عَـوْدَةً يَهُـونُ لَهَـا بَعْـدَ الْمُوَاصَـلَةِ الصَّـدُّ

جَـزَى اللهُ خَيـرًا مَـنْ جَزَانِـي بِمِثْلِـهِ   عَلَـى شُـقَّةٍ غَـزْرُ الْحَيَـاةِ بِهَـا ثَمْـدُ

أَبِيــتُ لِــذِكْرَاكُمْ بِهــا مُـتَمَلْمِلا   كَـأَنِّي سلِيمٌ أَوْ مَشَـتْ نَحْـوَهُ الْـوِرْدُ

فَلا تَحْسَبُونِي غَـافِلا عَنْ وِدَادِكُمْ   رُوَيدًا فَمَا فِـي مُهْجَتِـي حَجَرٌ صَلْدُ

هُوَ الْحُبُّ لا يَثْنِيهِ نَأْيٌ وَرُبَّما   تَـأَرَّجَ مِـنْ مَـسِّ الضِّـرَامِ لَـهُ النَّـدُّ

نَأَتْ بِيَ عَنْكُمْ غُرْبَةٌ وَتَجَهَّمَتْ   بِــوَجْهِيَ أَيَّــامٌ خَلائِقُهــا نُكْــدُ

****

أَدُورُ بِعينِــي لَا أَرَى غَيْـرَ أُمَّـةٍ   مِنَ الرُّوسِ بِالْبَلْقَانِ يُخْطِئُهَا الْعدُّ

جَوَاثٍ عَلَـى هَامِ الْجِبَالِ لِغارَةٍ   يَطِيـرُ بِهَـا ضَـوْءُ الصَّـبَاحِ إِذَا يَبْـدُو

إِذَا نَحْنُ سِرْنَا صَرَّحَ الشَّرُّ بِاسْمِهِ   وَصَـاحَ الْقَنَـا بِـالْمَوْتِ وَاسْتَقْتَلَ الْجُنْدُ

فَأَنْـتَ تَـرَى بَـيْنَ الْفَـرِيقيْنِ كَبَّـةً   يُحَـدِّثُ فِيهَـا نَفْسَـهُ الْبَطَـلُ الْجَعْـدُ

عَلَـى الأَرْضِ مِنْهَـا بِالـدِّمَاءِ جَدَاوِلٌ   وَفَـوْقَ سَـرَاةِ الـنَّجْمِ مِـنْ نَقْعِهَـا لِبْدُ

إِذَا اشْـتَبَكُوا أَوْ رَاجَعُـوا الزَّحْـفَ خِلْـتَهُمْ   بُحُــورًا تَــوَالَى بَينَهــا الْجَــزْرُ وَالْمَــدُّ

نَشُـلُّهُمُ شَـلَّ الْعِطَـاشِ وَنَـتْ بِهَـا   مُرَاغَمَــةُ السّــقِيَا وَمَاطَلَهَــا الْـوِرْدُ

فَهُـمْ بَـيْنَ مَقْتُـولٍ طَـرِيحٍ وَهَـارِبٍ   طَلِــيحٍ وَمَأْسُــورٍ يُجَاذِبُــهُ الْقِــدُّ

نَـرُوحُ إِلَـى الشُّـورَى إِذَا أَقْبَـلَ الـدُّجَى   وَنَغْــدُو عَلــيْهِمْ بِالمنَايَــا إِذَا نَغْــدُو

****

وَنَقْعٍ كَلُجِّ البَحْرِ خُضْتُ غِمَارَهُ ولا مَعْقِلٌ إلا المَنَاصِلُ وَالْجُرْدُ

صَبَرْتُ لَهُ والْمَوْتُ يَحْمَرُّ تَارَةً وَيَنْغَلُّ طَوْرًا فِي الْعَجَاجِ فَيَسْوَدُّ

فَمَا كُنْتُ إِلَّا اللَّيْثَ أَنْهَضَهُ الطَّوَى وَمَا كُنْتُ إلا السَّيفَ فَارَقَهُ الْغِمْدُ

صَئُولٌ ولِلأَبْطَالِ هَمْسٌ مِنَ الْوَنَى ضَرُوبٌ وَقَلْبُ الْقِرْنِ فِي صَدْرِهِ يَعْدُو

فَمَا مُهْجَةٌ إلا وَرُمحِي ضَمِيرُهَا وَلا لَبَّةٌ إلا وَسَيفِي لَهَا عِقْدُ

وَمَا كُلُّ سَاعٍ بَالِغٌ سُؤْلَ نَفْسِهِ وَلا كُلُّ طَلَّابٍ يُصَاحِبُهُ الرُّشْدُ

****

إِذَا الْقَلْبُ لَمْ يَنْصُرْكَ فِي كُلِّ مَوْطِنٍ فَمَا السَّيْفُ إلا آلَةٌ حَملُهَا إِدُّ

إِذَا كَانَ عُقْبَى كُلِّ شَيْءٍ وَإِنْ زَكَا فَنَاءٌ فَمكْرُوهُ الْفَنَاءِ هُوَ الْخُلْدُ

وَتَخْلِيدُ ذِكْرِ الْمَرْءِ بَعْدَ وَفاتِهِ حَيَاةٌ لَهُ لا مَوْتَ يَلْحَقُهَا بَعْدُ

فَفِيمَ يَخَافُ الْمَرْءُ سَوْرَةَ يَومِهِ وَفِي غَدِهِ مَا لَيْسَ مِنْ وَقْعِهِ بُدُّ

أَنَاالْقَائِلُ الْمَحْمُودُ مِنْ غَيْرِ سبَّةٍ وَمِنْ شِيمَةِ الْفَضْلِ الْعَدَاوَةُ وَالضَّدُّ

فَقَدْ يَحْسُدُ الْمَرْءُ ابْنَهُ وَهوَ نَفْسُهُ وَرُبَّ سِوَارٍ ضَاقَ عَنْ حَمْلِهِ الْعَضْدُ

فَلا زِلْتُ مَحْسُودًا عَلَى الْمَجْدِ والْعُلا فَلَيْسَ بِمَحْسُودٍ فَتًى وَلَهُ نِدُّ

****

وقال في يوم عيد الفطر وهو في تلك الحرب:

أَرَاكَ الْحِمَى شَوْقِي إِلَيْكَ شَدِيدُ وَصَبْرِي وَنَوْمِي فِي هَوَاكَ شَرِيدُ

مَضَى زَمَنٌ لَمْ يَأْتِنِي عَنْكَ قَادِمٌ بِبُشْرَى ولَمْ يَعْطِفْ عَلَيَّ بَرِيدُ

وَحِيدٌ مِنَ الْخُلَّانِ فِي أَرْضِ غُرْبَةٍ أَلا كُلُّ مَنْ يَبْغِي الْوَفَاءَ وَحِيدُ

فَهَلْ لِغَرِيبٍ طَوَّحَتْهُ يَدُ النَّوَى رُجُوعٌ وَهَلْ لِلْحَائِمَاتِ وُرُودُ

وَهلْ زَمَنٌ وَلَّى وَعَيْشٌ تَقَيَّضَتْ غَضَارَتُهُ بَعْدَ الذَّهَابِ يَعُودُ

أُعَلِّلُ نَفْسِي بِالْقَدِيمِ وَإِنَّمَا يَلَذُّ اقْتِبَالُ الشَّيْءِ وَهْوَ جَدِيدُ

وَمَا ذِكْرِيَ الأَيَّامَ إِلَّا لأَنَّهَا ذِمَامٌ لِعِرْفَانِ الصِّبَا وَعُهودُ

فَلَيْسَ بِمَفْقُودٍ فَتًى ضَمَّهُ الثرَى وَلَكِنَّ مَنْ غَالَ الْبِعَادَ فَقِيدُ

أَلا أَيُّها الْيَوْمُ الَّذِي لَمْ أَكُنْ لَهُ ذَكُورًا سِوَى أَنْ قِيلَ لِي هُوَ عِيدُ

أَتَسْأَلُنَا لُبْسَ الْجَدِيدِ سَفَاهَةً وَأَثْوَابنَا مَا قَدْ عَلِمْتَ حَدِيدُ

فَحَظُّ أُنَاسٍ مِنْهُ كَأْسٌ وَقَيْنَةٌ وَحَظُّ رِجَالٍ ذُكْرَةٌ وَنَشِيدُ

لِيَهْنَ بِهِ مَنْ بَاتَ جَذْلانَ نَاعِمًا أَخَا نَشَوَاتٍ مَا عَلَيهِ حَقُودُ

تَرَى أَهْلَهُ مُسْتَبْشِرينَ بِقُرْبِهِ فَهُمْ حَوْلَهُ لا يَبْرَحُونَ شُهُودُ

إِذَا سارَ عَنْهُمْ سَارَ وَهْوَ مُكَرَّمٌ وَإِنْ عَادَ فِيهِمْ عَادَ وَهْوَ سَعِيدُ

يُخَاطِبُ كُلًّا بِالّذِي هُوَ أَهْلُهُ فَمُبْدِئُ شُكْرٍ تَارَةً وَمُعِيدُ

****

وقال في الشوق إلى مصر وهو بعيد عنها

هَل مِن طبيبٍ لِداءِ الحُبِّ ، أوراقِى ؟

هَل مِن طبيبٍ لِداءِ الحُبِّ، أوراقِى؟ يَشْـفِى عَلـيلاً أخـا حُـزنٍ وإيـراقِ

قَدْ كَـانَ أَبْقَـى الْهَوَى مِنْ مُهْجَتِي رَمَقاً حَتَّـى جَرَى الْبَـيْنُ، فَاسْـتَوْلَى عَلَـى الْبَـاقِي

حُزنٌ بَرانِى، وأشواقٌ رَعَت كَبِدِى يـا ويـحَ نَفسِـى مِـن حُـزنٍ وأشـواقِ

أُكلِّـفُ الـنَفسَ صَـبراً وهـي جازِعـةٌ والصَّبْرُ فِي الْحُبِّ أَعْيَا كُلَّ مُشْتاقِ

لافى "سَرنديبَ" لِى خِلٌّ ألوذُ بِهِ ولا أنـيسٌ سِوَى هَمِّـى وإطراقِـى

أبيتُ أرعَى نَجومَ الَّليلِ مرتَفِقاً فِـي قُنَّـةٍ عَزَّ مَرْقَاهَا عَلَـى الرَّاقِـي

****

يـا حَبذا نَسـمٌ مِنْ جَوِّهـا عَبِقٌ يَسـرِى عَلـى جَـدولٍ بِالمـاءِ دَفَّـاقِ

مَرعَى جِيادِى ومَأوى جِيرتِى وَحِمى قَــوْمِي، وَمَنْبِــتُ آدَابِــي وَأَعْرَاقِــي

أصبو إليها عَلى بُعدٍ، ويُعجِبُنِى أنِّـى أعـيشُ بِهـا فـى ثـوبِ إمـلاقِ

وكيفَ أنسى دِياراً قد تَركتُ بِها أَهْـلاً كِرامـاً لَهُـمْ وُدِّي وَإِشْـفَاقِي؟

إذا تَـذكَّرتُ أيَّامـاً بِهِـم سَـلَفتْ تَحَـدَّرت بِغـروبِ الـدَّمعِ آمـاقِى

فَيا بريدَ الصّبا بَلِّغ ذَوى رَحمِى أنِّـى مُقـيمٌ علـى عَهـدِى ومِيثـاقِى

****

عَصرٌ تَولَّى، وأبقَى فى الفؤادِ هَوًى   يَكَـــادُ يَشــمَلُ أَحْشَـــائِي بِـــإِحْرَاقِ

فَلا يَعِبنِى حَسودٌ أن جَرى قَدَرٌ   فَلَيْسَ لِي غَيْرُ مَا يَقْضِيهِ خَلاَّقِي

أسلَمتُ نَفسِى لِمولًى لا يخيبُ لَهُ   راجٍ عَلى الدَهرِوالمولى هو الواقى

يا قَلبُ صَبراً جَميلاً، إنهُ قَدَرٌ   يَجرِى عَلى المَرءُ مِنْ أسروإطلاقِ

لا بُدَّ لِلضيقِ بَعدَ اليأسِ من فَرَجٍ   وكُـــلُّ داجِيـــةٍ يَومـــاً لإشـــراقِ

****

وقال أيضا في الحنين إلى مصر

أعائدٌ بكِ – يا ريحانةُ – الزمنُ ؟

أعائدٌ بكِ –يا ريحانةُ – الزمنُ ؟ فيلتقي الجفنُ بعدا البينِ وَالوسنُ

أشتاقُ رجعةَ أيامي لكاظمةٍ وَمَا بِيَ الدَّارُ لَوْلاَ الأَهْلُ وَالسَّكَنُ

فهلْ تردُّ الليالي بعضَ ما سلبتْ؟ أمْ هلْ تعودُ إلى أوطانها الظعنُ ؟

أَهَنْتُ لِلْحُبِّ نفْسِي بَعْدَ عِزَّتِهَا وَأَيُّ ذِي عِزَّةٍ لِلْحُبِّ لاَ يَهِنُ؟

لَوْلَمْ يَكُنْ فِي الْهَوَى سِرٌّلَمَا ظَهَرَتْ بِوَحْيِ قُدْرَتِهِ فِي الْعَالَمِ الْفِتَنُ

فَكَيْفَ أَمْلِكُ نَفْسِي بَعْدَمَا عَلِقَتْ بِيَ الصِّبَابَةُ حَتَّى شَفَّنِي الْوَهَنُ

لولا جريرةُ عيني ما سمحتُ بها للدمعِ تسفحهُ الأطلالُ وَ الدمنُ

دَعَتْ إِلَى الْغَيِّ قَلْبِي؛ فَاستَبَدَّ بِهِ شَوْقٌ تَوَلَّدَ مِنْهُ الْهَمُّ وَالشَّجَنُ

ودونَ ما تبغيهِ النفسُ منْ أربٍ بَيْدَاءُ تَصْهَلُ فِي أَرْجَائِهَا الْحُصنُ

وفي الأكلَّةِ آرامٌ تطيفُ بها أسدٌ براثنها الخطِّيةُ اللدنُ

منْ كلَّ حوراءَ مثلِ الظبي لوْ نظرتْ لِعَابِدٍ لَشَجَاهُ اللَّهْوُ وَالدَّدَنُ

في نشوةِ الراحِ منْ ألحاظها أثرٌ وفِي الْجَآذِرِ مِنْ أَلْفَاظِهَا غُنَنُ

دَقَّتْ، وَجَلَّتْ، وَلاَنَتْ، وَهْيَ قَاسِيَة كَذَاكَ حَدُّ الْمَوَاضِي لَيِّنٌ خَشِنُ

طوتْ بهنَّ النوى عني بدورَ دجى ... لا يستبينُ لعيني بعدها سننُ

أتبعتهمْ نظراتٍ كلما بلغتْ ... أخرى الحمولِ ثناها مدمعٌ هتنُ

يَا رَاحِلِينَ وَفي أَحْدَاجِهِمْ قَمَرٌ ... يَكَادُ يَعْبُدُهُ مِنْ حُسنِهِ الْوَثَنُ

منوا عليَّ بوصلٍ أستعيدُ بهِ ... منْ مهجتي رمقاً يحيا به البدنُ

أوْ فاسمحوا لي بوعدٍ إنْ ونتْ صلةٌ ... فَالْوَعْدُ مِنْكُمْ بِطِيبِ الْعَيْشِ مُقْتَرِنُ

لمْ ألقَ منْ بعدكمْ يوماً أسرُّ بهِ ... كَأَنَّ كُلَّ سُرُورٍ بَعْدَكُمْ حَزَنُ

يَا جِيرَةَ الْحَيِّ! مَا لِي لاَ أَنَالُ بِكُمْ ... معونةً بكمْ في الناس يُعتونُ ؟

مَاذَا عَلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ أَهْلُ بَادِرَة ... إذا ترنمَ فيكمْ شاعرٌ فطنُ ؟

أَفِي السَّوِيَّةِ أَنْ يَبْكِي الْحَمَامُ، وَلاَ ... يبكي على إلفهِ ذو لوعةٍ ضمنُ ؟

يا حبذا مصرُ لوْ دامتْ مودتها ... وهلْ يدومُ لحيٍّ في الورى سكنُ ؟

تاللهِ ما فارقتها النفسُ عنْ مللٍ ... وَإِنَّمَا هِيَ أَيَّامٌ لَهَا إِحَنُ

فلا يسرَّ عداتي ما بليتُ بهِ ... فَسَوْفَ تَفنَىوَيَبْقَى ذِكْرِيَ الْحَسَنُ

ظَنُّوا ابْتِعَادِيَ إِغْفَالاً لِمَنْقَبَتِي ... وَذَاكَ عِز لَهَا لَوْ أَنَّهُمْ فَطَنُوا

فإنْ أكنْ سرتُ عنْ أهلي وعنْ وطني ... فَالنَّاسُ أَهْلِي، وَكُلُّ الأَرْضِ لِي وَطَنُ

لاَ يَطْمِسُ الْجَهْلُ مَا أَثْقَبْتُ مِنْ شَرَفٍ ... وكيفَ يحجبُ نورَ الجونةِ الدخنُ ؟

قدْ يرفعُ العلمُ أقواماً وَإنْ تربوا ... وَيَخْفِضُ الْجَهْلُ أَقْوَاماً وَإِنْ خَزَنُوا

فَرُبَّ ميْتٍ لَـهُ مِنْ فَضْلِهِ نَسَمٌ وربَّ حــيٍّ لــهُ مــنْ جهلــهِ كفــنُ

فــلا تغرنــكَ أشــباهٌ تمــرُّ بهــا هَيْهَاتَ، مَا كُلُّ طِرْفٍ سابِقٌ أَرِنُ

فلا ملامَ على ما كانَ منْ حدثٍ فكُلُّنَــا بِيــدِ الأَقْــدَارِ مُــرْتَهَنُ

لَوْ كَانَ لِلْمَرْءِ حُكْمٌ في تَصَرُّفِهِ لعاشَ حراً، وَ لمْ تعلقْ بهِ المحنُ

وأيُّ حــيٍّ وَ إنْ طالــتْ سلامتهُ يبْقَــى ؟ وَأَيُّ عَزِيـزٍ لَـيْسَ يمـتَهَنُ؟

كلُّ امريءٍ غرضٌ للدهرِ يرشقهُ بأســهمٍ لا تقــي أمثالهــا الجــننُ

فَلْيشْغَبِ الدَّهرُ أَوْ تَسْكُنْ نَوَافِرُهُ فَلَسْـتُ منْــهُ عَلَــى مَــا فَــاتَ أَحْتَــزِنُ

غنيتُ عما يهينُ النفسَ منْ عرضٍ فمــا علــيَّ لحــيٍّ فــي الــورى مــننُ

لَكِنَّنــي بَيْنَ قَـوْمٍ لاَ خـلاَقَ لَهـمْ إنْ عَاقَـدُوا غَـدَرُوا أَوْ عَاشَـروا دَهَنُـوا

يخفونَ منْ حسدٍ ما في نفوسهمُ وَيُظْهِرُونَ خِدَاعاً غَيْرَ مَا بَطنـوا

يا للحماةِ ! أما في الناسِ منْ رجلٍ وارى الضــميرِ، لــهُ عقــلٌ بــهِ يــزنُ ؟

أكــلَّ خــلٍّ أراهُ لا وفــاءَ لــهُ ؟ وكلَّ قلبٍ عليَّ اليومَ مضطغنُ ؟

تغيرَ الناسُ عما كنتُ أعهدهُ فــاليومَ لاَ أدبٌ يغنــى، وَلاَ فطــنُ

فالخيرُ منقبضٌ، وَالشرُّ منبسطٌ والجهــلُ منتشــرٌ، وَالعلــمُ منــدفنُ

لَمْ تَلْقَ مِنْهُمْ سَلِيماً فِي مَوَدَّتِهِ كَـأَنَّ كُـلَّ امـرِىءٍ فِـي قَلْبِـهِ دَخَـنُ

طَوَاهُمُ الْغِلُّ طَيَّ الْقِدِّ، وَانْتَشَرَتْ بالغــدرِ بيــنهمُ الأحقــادُ وَالــدمنُ

فَلاَ صَدِيقَ يُرَاعِي غَيْبَ صَاحِبِهِ   وَلاَ رَفِيقَ عَلَى الأَسْرَارِ يُؤْتَمَنُ

بَلَوْتُهُمْ؛ فَسَئِمْتُ الْعَيْشَ، وَانْصَرَفَتْ   نفسي عنِ الناس حتى ليسَ لي شجنُ

فَإِنْ يَكُنْ فَاتَنِي مَا كُنْتُ أَملكُهُ   فَالْبُعْدُ عَنْهُمْ لِمَا أَتلَفتُهُ ثَمَنُ

كَفَى بِحَرْبِ النَّوَى سَلماً نَجَوْتُ بِهِ   وربَّ مخشية في طيها أمن

لعلَّ مزنة خيرٍ تستهلُّ على   رَوْضِ الأَمَانِي؛ فَيَحيَا الأَصْلُ

وكلُّ شيءٍ لهُ بدءٌ وعاقبةٌ   وكيفَ يبقى على حدثانهِ الزمنُ ؟

****

وقال وصف مخادع
صاحبٍ لا كانَ مِن صاحبٍ

وصاحبٍ لا كانَ مِن صاحبٍ	أخلاقـــهُ كالمعـــدةِ الفاســـدَه
أَقْبَحُ مَا فِي النَّاسِ مِنْ خَصْلَةٍ	أَحْسَــنُ مَــا فِــي نَفْسِــهِ الْجَامِــدَهْ
لــو أنَّــهُ صُــوِّرَ مِــن طَبعــهِ	كــانَ لعمــرِى عقربــاً راصِــدَه
يَصـلحُ للصَّـفعِ لِكَـى لا يُـرَى	فــي عَــدَدِ النــاسِ بِــلاَ فَائِــدَهْ
يغلبـــهُ الضَّـــعفُ ، ولَكنَّـــهُ	يهـــدِمُ فـــى قَعدتـــهِ المائـــدَه
يُراقــبُ الصَّــحنَ علــى غفلــة	مِـــنْ أَهْلـــهِ كَـــالْهِرَّةِ الصَّـــائِدَهْ
كأنمـــا أظفـــورهُ مِنجَـــلٌ	وَبَـــيْنَ فَكّيْـــهِ رَحًـــى راعِـــدَهْ
كَأنَّمـــا البطَّـــةُ فـــى حلقـــهِ	نَعامـــةٌ فـــى سبسَـــبٍ شـــارِدَه
تَسْـــمعُ لِلبَلْـــعِ نقيقـــاً، كَمَـــا	نقَّـــت ضَـــفادي ليلـــةٍ راكِـــدَه
كأنَّمـــا أنفاســـهُ حَرجـــف	وبـــينَ جنبيـــهِ لظـــىً واقـــدَه

****

وقال في وصف مخادع آخر
وِصَالُكَ لِي هَجْرٌ، وَهَجْرُكَ لِي وَصْلُ

وِصَالُكَ لِي هَجْرٌ، وَهَجْرُكَ لِي وَصْلُ ... فزدني صدوداً ما استطعتَ،وَلاَ تألُ

إذا كان قربي منكَ بعداً عن المنى ... فَلاَ حُمَّتِ اللُّقْيَا، وَلاَ اجْتَمَعَ الشَّمْلُ

وَ كيفَ أودُّ القربَ منْ متلونٍ ... كَثِيرِ خَبَايَا الصّدْرِ، شِيمَتُهُ الْخَتْلُ

فليتَ الذي بيني وَبينكَ ينتهي ... إلى حيثُ لا طلحٌ يرفُّ وَ لاَ أثلُ

خَبُثْتَ، فَلَوْ طُهِّرْتَ بِالْمَاءِ لاَكْتَسَى ... بكَ الماءُ خبثاً لا يحلُّ بهِ الغسلُ

فوَجْهُكَ مَنْحُوسٌ، وَكَعْبُكَ سَافِلٌ ... وَقَلْبكَ مَدْغُولٌ، وَعَقْلُكَ مُخْتَلُّ

بكَ اسودتِ الأيامُ بعدَ ضيائها ... وَأَصْبَحَ نَادِي الْفَضْلِ لَيْسَ بِهِ أَهْلُ

فلوْ لمْ تكنْ في الدهرِ ما انقضَّ حادثٌ ... بِقَوْمٍ، وَلاَ زَلَّتْ بِذِي أَمَلٍ نَعْلُ

فَمَا نَكْبَةٌ إلاَّ وَأَنْتَ رَسُولُها ... وَلاَخيبةٌ إلاَّ وَ أنتَ لها أصلُ

أَذُمُّ زَمَاناً أَنْتَ فيهِ وَبَلْدَةً ... طلعتَ عليها ؛ إنهُ زمنٌ وَغلُ

ذمامكَ مخفورٌ، وَعهدكَ ضائعٌ ... وَرَأَيُكَ مَأْفُونٌ، وَعَقْلُكَ مُخْتَلُّ

مَخَازٍ لَوَ انَّ النَّجْمَ حُمِّلَ بَعْضَهَا ... لَعَاجَلَهُ مِنْ دُونِ إِشْرَاقِهِ أَفْلُ

فسرْ غيرَ مأسوفٍ عليكَ، فإنما ... قُصَارَى ذَمِيمِ الْعَهْدِ أَنَّ يُقْطَعَ الْحَبْلُ

وقال في فضل العلم
بقوةِ العلمِ تقوى شوكةُ الأممِ

بقـوة العلـمِ تقـوى شـوكةُ الأمـمِ ... فَـالْحُكْمُ فـي الـدَّهْرِ مَنْسُـوبٌ إِلَـى الْقَلَـمِ

كمْ بينَ ما تلفظُ الأسيافُ منْ علقٍ ... وَبَـيْنَ مَـا تَنْفـثُ الأَقْـلامُ مـنْ حِكَـمِ

لَـوْ أَنْصَـفَ النَّـاسُ كَـانَ الْفَضْـلُ بَيْـنَهُمُ ... بقَطْـرَةٍ مِـنْ مِـدَادٍ، لاَ بِسَـفْكِ دَمِ

فـاعكفْ علـى العلـمِ، تبلـغْ شـأوَ منزلـةٍ ... فـي الفضـلِ محفوفـةٍ بـالعزِّ وَالكـرمِ

فليسَ يجنـى ثمـارَ الفوزِ يانعـةً ... مـنْ جنـةِ العلـمِ إلاَّ صـادقُ الهمـمِ

لَـوْ لَـمْ يَكُـنْ فِـي الْمَسَـاعِي مَـا يَبِينُ بِـهِ ... سَبْقُ الرِّجَـالِ، تَسَـاوَى النَّـاسُ فـي الْقِيَمِ

وَلِلْفَتَـى مُهْلَـة فِـي الدَّهْرِ، إِنْ ذَهَبَـتْ ... أَوْقَاتُهَـا عَبَثـاً، لَـمْ يَخْـلُ مِـنْ نَـدَمِ

لَـوْلاَ مُدَاوَلَـةُ الأَفْكَـارِ مَـا ظَهَـرَتْ ... خَزَائِنُ الأَرْضِ بَيْنَ السَّـهْلِ وَالْعَلَـمِ

كـمْ أمـةٍ درسـتْ أشـباحها، وسـرتْ ... أرواحهـا بيننـا فـي عـالمِ الكلـمِ

فَاسْـتَيْقِظُوا يَـا بَنِـي الأَوْطَـانِ، وانْتَصِـبُوا ... للعلـمِ ؛ فهـوَ مـدارُ العدلِ فـي الأمـمِ

وَلاَ تَظُنُّـوا نَمـاءَ المَـالِ، وَانْتَسِـبُوا ... فَـالْعِلْمُ أَفْضَـلُ مَـا يَحْوِيـهِ ذُو نَسَـمِ

فَـرُبَّ ذِي ثَـرْوَةٍ بِالْجَهْـلِ مُحْتَقَـرٍ ... وَربَّ ذي خلـةٍ بـالعلمِ محتـرمِ

شيدوا المدارسَ فهـي الغـرسُ إنْ سقتْ ... أَفْنَانُـهُ أَثْمـرَتْ غَضّـاً مِـنَ الـنِّعَمِ

مَغْنَى عُلُـومٍ، تَـرَى الأَبنَـاءَ عَاكِفَـةً ... عَلَـى الـدُّرُوسِ بِـهِ، كَـالطَّيْرِ فـي الْحَـرَمِ

فَكَمْ تَـرَى بَيْنَهُمْ مِنْ شَـاعِرٍ لسِنٍ أَوْ كَاتِـبٍ فطِـنٍ، أَوْ حَاسِـبٍ فَهِـمِ
وَنـابغٍ نـالَ منْ علمِ الحقوقِ بهـا مَزِيَّـةً أَلبَسَـتهُ خِلْعَـةَ الْحَكَـمِ
وَلُـجِّ هَنْدَسَـةٍ تَجْـرِي بِحِكْمَتِـهِ جَـدَاوِلُ الْمَـاءِ فـي هَـالٍ مِـنَ الأَكُـمِ
بَلْ، كَمْ خَطِيبٍ شَفَى نَفْساً بِمَوْعِظَةٍ وَكـمْ طبيـبٍ شـفى جسـماً مـنَ السقمِ
مُؤَدَّبُـونَ بِـآدَابِ الْمُلُـوكِ، فَـلاَ تَلْقَى بِهِمْ غَيْرَ عَـالِي القدْرِ مُحْتَشِـمِ
قَـوْمٌ بِهِـمْ تَصْـلُحُ الـدُّنْيَا إِذَا فَسَـدَتْ وَيفـرُقُ الْعَـدْلُ بَـيْنَ الـذِّئْبِ وَالْغَـنمِ
وَكيفَ يثبتُ ركنُ العدلِ في بلدٍ لَـمْ يَنْتَصِـبْ بَيْنَهَـا لِلْعِلْـمِ مِـنْ عَلَـمِ؟
ما صورَ اللهُ للأبدانِ أفئدة إِلاَّ لِيَرْفَــعَ أَهْــلَ الْجِــدِّ وَالفَهَــمِ
وَأَسْعَدُ النَّـاسِ مَنْ أَفْضَـى إِلَـى أَمَدٍ فـي الفضلِ، وَامتـازَ بالعـالي منَ الشيمِ
لَـوْلاَ الْفَضِـيلَةُ لَـمْ يَخْلُـدْ لِـذِي أَدَبٍ ذِكرٌ عَلَى الدَّهْرِ بَعدَ الْمَوْتِ وَالْعَدَمِ
فلينظـرِ المـرءُ فيمـا قدمتْ يده قَبْـلَ الْمَعَـادِ، فَـإِنَّ الْعُمـرَ لَـمْ يَـدُمِ

****

وقال مترحما على زمن الصبا

تولَّى الصِّبا عَنِّى ، فكيفَ أعيده؟

تـولَّى الصِّـبا عَنِّـى، فكيـفَ أعيـدهُ وقَـدْ سـارَ فـى وادى الفَنـاءِ بريـدهُ؟
أُحـاولُ منـهُ رجعـةً بعـدَ مـا مضـى وذَلِـكَ رَأْيٌ غَـابَ عَنِّـي سَـدِيدُهُ

فَمَـا كُـلُّ جَفـرٍ غـاضَ يَرْتَـدُّ نَبْعُـهُ ... ولا كـلُّ سـاقٍ جفـَّ يخضـرُّ عـودهُ

فــإن أكُ فارقـتُ الشَّـبابَ فقبلـهُ ... بكيـتُ رضــاعاً بـانَ عنِّـى حميـدهُ

وأىُّ شــبابٍ لا يــزولُ نعيمـــهُ ؟ ... وسِـربالِ عيشٍ ليسَ يبلـى جديـدهُ ؟

فلاغروَإن شابت منَ الحزنِ لِمَّتى ... فــإنِّى فـــى دهــرٍ يشـــيبُ وليـــدهُ

يهـدِّمُ مـن أجســادنا مـا يشـيدهُ ... وَيَــنْقُصُ مِـنْ أَنفَاسِـنَا مَــا يَزِيـدُهُ

أَرَى كُلَّ شَيْءٍ لا يَدُومُ، فمَا الَذِي ... ينالُ امرؤٌ من حبِّ مـا لا يفيدهُ ؟

فَـوَا حَسْـرَتَا! كَـمْ زَفْـرَةٍ إِثْـرَ لَوْعَـة ... إِذَا عَصَـفَتْ بِالقلْـبِ كـادَتْ تُبِيـدُهُ

أَحِـنُّ إِلـى وادِي النَّقَـا، ويَسُـرُّنِي ... عَلَـــى بُعْـــدِهِ أَنْ تَسْـــتَهِلَّ سُـــعُودُهُ

وأصـدقُهُ وِدَّى، وإن كنـتُ عالمـاً ... بـــأنَّ النقـــا لـــم يَـــدنُ منِّـــى بعيـــدهُ

فَإِيَّـاكَ أَنْ تَغْتَـرَّ يَـا صَـاحِ بِـالْهَوَى ... فـإنَّ الـرَّدى حِلـفُ الهـوى وعَقيـدهُ

ومَا أَنَـا مِمَّنْ يَرْهَبُ الْمَوْتَ إِنْ سَطَا ... إذا لـم تكُـن نُجـلَ العيـونِ شـهودُهُ

****

أَنَـا الرَّجُـلُ الْمَشْفُوعُ بِالفِعْلِ قَوْلُـهُ ... إذا مــا عَقِيـدُ القَـوْمِ رَثَّـتْ عُقُـودُهُ

تعوَّدتُ صِدقَ القولِ حتَّى لو أنَّنى ... تَكَلَّفْـــتُ قَـــوْلاً غَيْـــرَهُ لا أُجِيـــدُهُ

أُضـاحِكُ وَجْـهَ الْمَـرْءِ يَغْشَـاهُ بِشْـرُهُ ... وأَعْلَـــمُ أَنَّ القلْـــبَ تَغْلِـــي حُقُـــودُهُ

ومَـنْ لـمْ يـدارِ النَّـاسَ عـاداهُ صـحبهُ ... وأَنْكــرهُ مـــنْ قومـــهِ مَـــنْ يســـودُهُ

فَمـنْ لِـي بِخِـلٍّ أَسْـتَعِينُ بِقُرْبِـهِ — علــى أمــلٍ لــم يبــقَ إلاَّ شــريدهُ

سَمِعْتُ قَدِيماً بِالْوَفَاءِ فَلَيْتَنِي — عَلِمْـتُ عَلَـى الأَيَّـامِ أَيْـنَ وُجُـودُهُ

فـإن أنـا لـمْ أملِكْ صَـديقاً فـإنَّنى — لِنفســى صــديقٌ لا تخــيسُ عهــودهُ

وَحَسْبُ الْفَتَى مِنْ رَأْيِهِ خَيْرُ صاحِبٍ — يُــوازِرُهُ فــي كُــلِّ خَطْــبٍ يَئُــودُهُ

إذا لـمْ يكُـن للمـرءِ مِـنْ بدَهاتـهِ — نَصـيرٌ، فـأخلَق أَنْ تَخيـبَ جـدودهُ

وإنِّـى وإن أصبَحتُ فرداً فـإنَّنى — بنَفسـيِ عشـيرٌ لـيسَ ينجـو طريـدهُ

وَلِـي مِـن بَـدِيعِ الشِّـعْرِ مـا لَـوْ تَلَوْتُـهُ — علـى جبـلٍ لانـهـالَ فـى الـدَوِّ رِيـدهُ

إِذَا اشْـتَدَّ أَوْرَى زَنْـدَةَ الْحَـرْبِ لَفْظُـهُ — وَإِنْ رَقَّ أَزْرَى بِـــالْعُقُودِ فَرِيـــدُهُ

يقطـعُ أنفـاسَ الرِّيـاحِ إذا سـرى — ويســـبقُ شـــأوَ النَّيِّـــرينِ قَصـــيدهُ

إِذَا مــا تَــلاهُ مُنْشِــدٌ فــي مَقَامَــة — كَفَـى الْقَـوْمَ تَرْجيـعَ الْغِنـاءِ نَشِـيدُهُ

سيبقى بهِ ذكرى على الدَّهرِ خالداً — وذِكْـرُ الفَتَــى بَعْـدَ الْمَمَـاتِ خُلُـودُهُ

****

وقال أيضا

ذهبَ الصبا ، وَ تولتِ الأيام

ذهـبَ الصـبا ، وَتولـتِ الأيـامُ   فعلـى الصبا وَعلـى الزمـانِ سلامُ

تَــاللَّهِ أَنْسَــى مــا حَيِيـتُ عُهُـودَهُ   ولِكُــلِّ عَهْــدٍ فِــي الْكِــرَامِ ذِمَــامُ

إذْ نحنُ في عيشٍ ترفُّ ظلالـهُ   وَلَنَــــا بِمُعتَـــرَكِ الْهَـــوَى آثـــامُ

تَجْـرِي عَلَيْنَـا الْكَـأْسُ بَـيْنَ مَجَـالِسٍ   فيهــــا الســــلامُ تعـــانقُ وَ لـــزامُ

فِـي فِتيَـةٍ فَـاضَ النَّعِـيمُ عَلَـيْهِمُ   وَنمــــاهمُ التبجيــــلُ وَالإعظــــامُ

ذَهَبَتْ بِهِمْ شِيَمُ الْمُلُوكِ فَلَيْسَ فِي   تلعــــابهمْ هـــــذرٌ ، وَلاَ إبـــــرامُ

لاَ يَنْطِقُـونَ بِغَيْـرِ آدَابِ الْهَـوَى   سُمُحُ النُّفُوسِ، عَلَـى الْبَلاءِ كِرَامُ

مـنْ كـلَّ أبلـجَ يستضـاءُ بنـورهِ   كالبـــدرِ حلـــى صـــفحتيهِ غمـــامُ

سهلُ الخليقةِ لا يسوءُ جليسهُ   بَـــيْنَ الْمَقَامَـــةِ، وَاضِـــحٌ، بَسَّـــامُ

متواضـعٌ للقـومِ ، تحسـبُ أنـهُ   مـــولى فـــي الـــدارِ وَهـــوَ همـــامُ

حتـى انتبهنـا بعدَ مـا ذهبَ الصبا   إنَّ اللـــــذاذةَ وَالصـــــبا أحــــلامُ

لاَ تَحْسبَنَّ الْعيْشَ دَامَ لِمتْرَفٍ   هَيْهَـاتَ، لَـيْسَ عَلَـى الزَّمَـانِ دَوَامُ

تــأتي الشــهورُ، وَتنتهــي ســاعاتها   لَمْـعَ السَّـرَابِ، وَتَنْقَضِـي الأَعْـوَامُ

وَالنَّــاسُ فِيمَــا بَـيْنَ ذَلِـكَ وَارِدٌ   أَوْ صَـــادِرٌ، تَجْـــرِي بِـــهِ الأَيَّـــامُ

لاَ طـائرٌ ينجو، وَ لاَ ذو مخلـبٍ يَبْقَــى، وَعَاقِبَــةُ الْحَيَــاةِ حِمَــامُ

فـالعيشُ لـيسَ يـدومُ فـي ألوانـهِ إلاَّ إِذَا دَارَتْ عَلَيْــــهِ الْجَــــامُ

وَاعلـمْ بـأنَّ المـرءَ لـيسَ بخالـدِ و الـــدهرُ فيـــهِ صــحةٌ وســقامُ

يهوى الفتـى طـولَ الحيـاة وإنهـا داءٌ لـــهُ لـــوْ يَسْـــتَبِينُ عُقَـــامُ

فاطمحْ بطـرف كَهلْ تـرى منْ أمـة خَلَدَتْ؟ وَهَلْ لابْنِ السَّبِيلِ مُقَامُ؟

هذي المـدائنُ قد خلـتْ منْ أهلهـا بَعــدَ النِّظَــامِ، وَهَــذِهِ الأَهْــرَامُ

لا شـيءَ يخلـدُ، غيـرَ أنَّ خديعـة فِـي الـدَّهْرِ تَنْكُـلُ دُونَهَـا الأَحْـلاَمُ

وَ لقـدَ تبينـتُ الأمـورَ بغيرهـا وأتـــى علـــيَّ الـــنقضُ والإبـــرامُ

فـإذا السـكونُ تحـركٌ وَإذا الخمـود تلهـــبٌ ، وَ إذا الســـكوتُ كـــلامُ

وإذا الحيـاةُ - وَ لاَ حيـاةَ – منيـة تَحْيَـا بِهَـا الأَجْسَـادُ وَهْـيَ رِمَـامُ

هذا يحلُّ، وَ ذاكَ يرحلُ كارهاً عنـــهُ، فصـــلحٌ تـــارةً ، وَ خصـــامُ

فـالنورُ- لوْ بينـتَ أمركَ – ظلمـة والْبَــدْءُ لَــوْ فَكَّــرْتَ فِيــهِ خِتَــامُ

****

وقال رافضا الظلم وحياة الذل
دَعِ الذُّلَّ في الدُّنْيَا لِمَنْ خَافَ حَتْفَهُ

دَعِ الذُّلَّ فـي الدُّنْيَا لِمَنْ خَـافَ حَتْفَـهُ ... فَلَلْمَـوْتُ خَيْـرٌ مِـنْ حيَـاةٍ عَلَـى أَذَى

ولا تصـطحِب إلاَّ امـرأً إن دَعوتَـهُ ... لَـدَى جَمَـرَاتِ الْحَـرْبِ، لَبَّـاكَ وَاحْتَـذَى

يسرُّكَ عندَ الأمنِ فضـلاً وحكمـة ... ويرضـيكَ يـومَ الـروعِ نـبلاً مُقـذَّذاً

فَيَا حَبَّذَا الْخِلُّ الصَّفِيُّ! وَهَلْ أَرَى ... نصـيباً مـنَ الـدنيا إذا قلـتُ حبَّـذا ؟

لعَمـرى لقَـد ناديـتُ، لـو أنَّ سـامِعاً ... ونَوَّهْـتُ بِـالأَحْرَارِ، لَـوْ أَنَّ مُنْقِـذَا

وَطَوَّفْـتُ بِالآفَـاقِ حتَّـى كَـأَنَّنِي ... أُحـاولُ مـن هـذى البسـيطةِ منفـذا

فَمَـا وَقَعتْ عَيْنِي عَلـى غَيْـرِ أَحْمَقٍ ... غوِّى يَظنُّ المَجدَ فـى الرىّ والغِذا

إذا مـا رأيـتُ الشَّـئَ فـى غيـرِ أهلـهِ ... ولَم أستَطع رداً طرفتُ علـى قذى

فحتَّى متـى يـا دهرً أكتمُ لوعـة ... تُكَلِّـفُ قَلْبِـي كُلْفَـةَ الـرِّيحِ بِالشَّـذَا؟

ألـم يـأن للأيـامِ أن تبصِـرَ الهدى ... فَتَخفض مأفونـاً، وترفـعَ جِهبِـذا ؟

وقال ناصحا قَلِيلٌ مَنْ يَدُومُ عَلَى الْوِدَادِ

قَلِيــلٌ مَنْيَــدُومُ عَلَــى الْــوِدَادِ فَــلا تَحفَــل بِقــربٍ أو بِعـــادِ

إِذَا كَــانَ التَّغَيُّــرُ فــي اللَّيَــالِي فَكَيْــفَ يَــدُومُ وُدٌّ فــي فُــؤَادِ؟

وَمـنْ لَـكَ أَنْ تَـرَى قَلْبـاً نَقِيًّـا ولمَّــا يَخـلُ قلـبٌ مِـن سـوادِ ؟

فـلا تَبـذل هـواكَ إلــى خليـلٍ تَظُــنُّ بِــهِ الْوَفَــاءَ، وَلاَ تُعَــادِ

وَكُـنْ مُتَوَسِّـطاً فـي كُـلِّ حَـالٍ لِتــأمنَ مــا تخــافُ مِــنَ العِنــادِ

مُـدَارَاةُ الرِّجَـالِ أَخَـفُّ وَطْئـاً علـى الإنسـانِ مِـن حَـربِ الفسـادِ

يَعِـيشُ الْمَـرْءُ مَحْبُوبـاً إِذَا مـا نَحــا فــى سَـيرهِ قَصـدَ السَّـدادِ

وما الدُّنيا سوى عَجزٍ وحِرصٍ هُمَــا أَصْـلُ الْخَلِيقَـةِ فـي الْعِبَـادِ

فَلَوْلاَ الْعَجْزُ مَـا كَـانَ التَّصَـافِي وَلَـوْلاَ الْحِـرْصُ مـا كَـانَ التَّعَـادِي

ومــا عقَــدَ الرِّجــالُ الــوُدَّ إلاَّ لِنَفــعٍ ، أو لِمنــعٍ مِــن تعــادى

ومـا كـانَ العِـداءُ يَخـفُّ لـولا أذَى السُّـلطان أو خـوفُ المَعـادَ

فيـا ابـنَ أَبـى ولسـتَ بـهِ ولكِـن كِلاَنَــــا زَرْعُ أَرْضٍ لِلْحَصَــــادِ

تَأَمَّـلْ، هَـلْ تَـرَى أَثَـراً؟ فَـإِنِّي أرى الآثـــارَ تَـــذهبُ كالرَّمـــاد

حَيَـاةُ الْمَـرْءِ فـي الـدُّنْيا خَيَـالٌ وَعَاقِبَـــةُ الأُمُـــورِ إِلَـــى نَفَـــادِ

فَطُـوبَى لِامـرِىءٍ غَلَبَـتْ هَـوَاهُ بَصــيرتُهُ ؛ فبــاتَ علــى رَشــادِ

وقال في الزهد

كل حى سيموت ليس فى الدنيا ثبوت

حركات سوف تفنى ثم يتلوها خفوت

و كلام ليس يحلو بعده الا السكوت

أيها السادر قل لى أين ذاك الجبروت؟

كنت مطبوعا على النطق فما هذا الصموت ؟؟

ليت شعرى ، أهمودٌ ما أراه ، أم قنوت؟

أين أملاك لهم فى كل أفق ملكوت

زالت التيجان عنهم و خلت تلك التخوت

أصبحت أوطانهم من بعدهم و هى خبوت

لا سميع يفقه القول و لا حى يصوت

عمرت منهم قبور و خلت منهم بيوت

لم تذد عنهم نحوس الدهر إذا حانت بخوت

خمدت تلك المساعى وانقضت تلك النعوت

إنما الدنيا خيال باطل سوف يفوت

ليس للانسان فيها غير تقوى الله قوت

وقال يَرْثِي زَوْجَتهُ (عديلة هانم يكن)
وَقَد وَرَدَ إِلَيْهِ نَعْيُهَا وهو بِسرَنْديِبَ:

أَيـدَ الْمَنُـونِ قَـدَحْتِ أَيَّ زِنَـادِ وَأَطَـرْتِ أَيَّـةَ شُـعْلَةٍ بِفُـؤَادِي

أَوهَنْتِ عَزْمِي وَهْوَ حَمْلَـةُ فَيْلَقٍ وَحَطَمْتِ عُودِي وَهْوَ رُمْحُ طِرَادِ

لَمْ أَدْرِ هَلْ خَطْبٌ أَلَمَّ بِسَاحَتِي فَأَنَـاخَ أَمْ سَـهْمٌ أَصَـابَ سَـوَادِي

أَقذَى الْعُيُونَ فأَسْبَلَتْ بِمدَامِعٍ تَجْـرِي عَلَـى الْخَـدَّيْنِ كَالْفِرْصَـادِ

مَا كُنْتُ أَحْسَبُنِي أُرَاعُ لِحَادِثٍ حَتَّـى مُنِيـتُ بِـهِ فَـأَوْهَنَ آدِي

أَبْلَتْنِي الْحَسَراتُ حَتَّى لَمْ يَكَدْ جِسْـمِي يَلُـوحُ لِأَعْـيُنِ الْعُـوَّادِ

أَسْتَنْجِدُ الزَّفَراتِ وَهْيَ لَوَافِحٌ وَأُسَـقِّهُ الْعَبَـرَاتِ وَهْـيَ بِـوَادِي

لا لَوْعَتِي تَدَعُ الْفُؤَادَ وَلا يَدِي تَقْـوَى عَلَـى رَدِّ الْحَبِيـبِ الْغَـادِي

يَـا دَهْـرُ فِـيمَ فَجَعْتَنِـي بِحَلِيلَـةٍ كَانَـتْ خُلاصَـةَ عُـدَّتي وَعَتَـادِي

إِنْ كُنْتَ لَمْ تَرْحَمْ ضَنَايَ لِبُعْدِهَا أَفَـلا رَحِمْـتَ مِـنَ الأَسـى أَوْلادِي

أَفْـرَدْتَهُنَّ فَلَـمْ يَـنَمْنَ تَوَجُّعًـا قَرْحَـى الْعُيُـونِ رَوَاجِـفَ الأَكْبَـادِ

أَلْقَيْنَ دُرَّ عُقُودِهِنَّ وَصُغْنَ مِنْ دُرِّ الـدُّمُوعِ قَلائِـدَ الأَجْيَـادِ

يَبكِينَ مِـنْ وَلَـهٍ فِـرَاقَ حَفِيَّـةٍ كَانَـتْ لَهُـنَّ كَثِيـرَةَ الإِسْـعَادِ

فَخُـدُودُهُنَّ مِـنَ الـدُّمُوعِ نَدِيَّـةٌ وَقُلُـوبُهُنَّ مِـنَ الْهُمُـومِ صَـوَادِي

أَسَــلِيلَةَ الْقَمَــرَيْنِ أَيُّ فَجِيعــةٍ حَلَّــتْ لِفَقْـدِكِ بَـيْنَ هَـذَا النَّــادِي

أَعْـزِزْ عَلَـيَّ بِـأَنْ أَرَاكِ رَهِينَـةً فِـي جَـوْفِ أَغْبَـرَ قَـاتِمِ الأَسْـدَادِ

أَوْ أَنْ تَبِينِـي عَـنْ قَـرَارَةِ مَنْـزِلٍ كُنْـتِ الضِّـيَاءَ لَـهُ بِكُـلِّ سَـوَادِ

لَـوْ كَـانَ هَـذَا الـدَّهْرُ يَقْبَـلُ فِدْيَـةً بِـالنَّفْسِ عَنْـكِ لَكُنْـتُ أَوَّلَ فَـادِي

أَوْ كَانَ يَرْهَبُ صَوْلَةً مِنْ فَاتِكٍ لَفَعَلْـتُ فِعْـلَ الحَـارِثِ بْـنِ عُبَـادِ

لَكِنَّهَــا الأَقْــدَارُ لَــيْسَ بِنَــاجِعٍ فَيهــا سِــوَى التَّسْـلِيمِ وَالإِخْــلادِ

فَبِــأَيِّ مَقْـدِرَةٍ أَرُدُّ يَـدَ الأَسَــى عَنِّـي وَقَـدْ مَلَكَـتْ عِنَـانَ رَشَـادِي

أَفَأَسْـتَعِينُ الصَّـبْرَ وَهْـوَ قَسَـاوَةٌ أَمْ أَصْـحَبُ السُّلْوَانَ وَهْوَ تَعَـادِي؟

جَزَعُ الْفَتَـى سِمَةُ الْوَفَـاءِ وصَبْرُهُ غَــدْرٌ يَــدُلُّ بِــهِ عَلَــى الأَحْقَــادِ

وَمِنَ الْبَلِيَّـةِ أَنْ يُسَـامَ أَخُـو الأَسَـى رَعْــيَ التَّجَلُّـدِ وَهْـوَ غَيْـرُ جَمَـادِ

هَيْهَاتَ بَعْدَكِ أَنْ تَقَرَّ جَوَانِحِي أَسَــفًا لِبُعْــدِكِ أَوْ يَلِــينَ مِهَــادِي

وَلَهِي عَلَيْكِ مُصَاحِبٌ لِمَسِيرَتِي وَالــدَّمْعُ فِيــكِ مُــلازِمٌ لِوِسَــادِي

فَـإِذَا انْتَبَهْتُ فَأَنْتِ أَوَّلُ ذُكْرَتِـي وَإِذَا أَوَيْــتُ فَأَنْــتِ آخِــرُ زَادِي

أَمْسَـيْتُ بَعْدَكِ عِبْرَةً لِذَوِي الأَسَـى فِــي يَــومِ كُــلِّ مُصِــيبَةٍ وَحِــدَادِ

مُتَخَشِّعًا أَمْشِي الضَّرَّاءَ كَأَنَّنِي أَخْشَـى الْفُجَـاءَةَ مِنْ صِيَالِ أَعَـادِي

مَا بَيْنَ حُزْنٍ باطِنٍ أَكَلَ الْحَشَا بِلَهِيــبِ سَــوْرَتِهِ وَسُــقْمٍ بَــادِي

وَرَدَ الْبَرِيـدُ بِغَيْـرِ مـا أَمّلْتُـهُ ... تَعِسَ الْبَرِيـدُ وشَـاهَ وَجْـهُ الْحَـادِي

فَسَـقَطْتُ مَغْشِـيًّا عَلَـيَّ كَأَنَّمَـا ... نَهَشَـتْ صَـمِيمَ الْقَلْـبِ حَيَّـةُ وَادِي

وَيْلُمِّـــهِ رُزْءًا أَطَـــارَ نَعِيُّـــهُ ... بِالْقَلْـــبِ شُـــعْلَةَ مَـــارِجٍ وَقَّـــادِ

قَدْ أَظْلَمَـتْ مِنْـهُ الْعُيُـونُ كَأَنَّمـا ... كَحَـــلَ الْبُكَـــاءُ جُفُونَهـــا بِقتَـــادِ

عَظُمَتْ مُصِيبَتُهُ عَلَيَّ بِقَدْرِ مَا ... عَظُمَـــتْ لـــدَيَّ شَـــمَاتَةُ الْحُسَّـــادِ

لامُوا عَلَـى جَزَعِـي وَلَمَّـا يَعْلَمُـوا ... أَنَّ الْمَلَامَـــــةَ لا تـــــرُدُّ قِيَـــــادِي

فَلَـئِنْ لَبِيـدُ قَضَـى بِحَـوْلٍ كَاملٍ ... فِي الْحُزْنِ فَهْوَ قَضَـاءُ غَيْرِ جَوَادِ

لَبِسَ الزَّمَانَ عَلَى اخْتِلافِ صُرُوفِهِ ... دُوَلًا وَفَــــلَّ عَرَائِــــكَ الآبَــــادِ

كَـمْ بَـيْنَ عَـادِيٍّ تَمَلَّـى عُمْـرَهُ ... حِقَبـــا وَبَـــيْنَ حَدِيثَـــةِ الْمِـــيلَادِ

هَذَا قَضَـى وَطَـرَ الْحَيَـاةِ وَتِلْكَ لَمْ ... تَبْلُـــغْ شَـــبِيبَةَ عُمْرِهَـــا الْمُعتَـــادِ

فَعَـلامَ أَتْبَـعُ مَـا يَقُـولُ وَحُكْمُـهُ ... لا يَسْـــتَوِي لِتَبَـــايُنِ الأَضْـــدَادِ

سِرْ يَـا نَسِيمُ فَبَلِّـغِ الْقَبْـرَ الَّـذِي ... بِحِمَـــى الإِمَـــامِ تَحِيَّتِـــي ووِدَادِي

أَخْبِـرْهُ أَنِّــي بَعْـدَهُ فِــي مَعْشَـرٍ ... يَسْـــتَجْلِبُونَ صَـــلاحَهُمْ بِفَسَـــادِي

طُبِعُوا عَلَـى حَسَدٍ فَأَنْتَ تَرَاهُمُ ... مَرْضَـى الْقُلُـوبِ أَصِـحَّةَ الأَجْسَـادِ

وَلَوَ انَّهُمْ عَلِمُوا خَبِيئَـةَ مَا طَوَى ... لَهُـمُ الـرَّدَى لَـمْ يَقْـدَحُوا بِزِنَـادِ

كُـلُّ امـرِئٍ يَومًـا مُـلاقٍ رَبَّـهُ ... والنَـاسُ فِـي الـدُّنْيَا عَلَـى مِيعَـادِ

وَكَفَى بِعَادِيَةِ الْحَوَادِثِ مُنْذِرًا ... لِلْغَافِلِينَ لَوِ اكْتَفُوا بِعَوَادِي

فَلْيَنْظُرِ الإِنْسَانُ نَظْرَةَ عَاقِلٍ ... لِمَصَارِعِ الآبَاءِ وَالأَجْدَادِ

عَصَفَ الزَّمَانُ بِهِمْ فَبَدَّدَ شَمْلَهُمْ ... فِي الأَرْضِ بَيْنَ تَهَائِمٍ وَنِجَادِ

دَهْرٌ كَأَنَّا مِنْ جَرَائِرِ سِلْمِهِ ... فِي حَرِّ يَومٍ كَرِيهَةٍ وَجِلادِ

أَفْنَى الْجَبَابِرَ مِنْ مَقَاوِلِ حِمْيَرٍ ... وأُولِي الزَّعَامَةِ مِنْ ثَمُودَ وَعَادِ

وَرَمَى قُضَاعَةَ فَاسْتَبَاحَ دِيَارَهَا ... بِالسُّخْطِ مِنْ سَابُورَ ذِي الأَجْنَادِ

وَأَصَابَ عَنْ عُرْضٍ إِيادَ فَأَصْبَحَتْ ... مَنْكُوسَةَ الأَعْلامِ فِي سِنْدَادِ

فَسَلِ الْمَدَائِنَ فَهْيَ مَنْجَمُ عِبْرَةٍ ... عَمَّا رَأَتْ مِنْ حَاضِرٍ أَوْ بَادِي

كَرَّتْ عَلَيهَا الْحَادِثَاتُ فَلَمْ تَدَعْ ... إِلا بَقَايَا أَرْسُمٍ وَعِمَادِ

وَاعْكُفْ عَلَى الْهَرَمَيْنِ وَاسْأَلْ عَنْهُمَا ... بَلْهِيبَ فَهْوَ خَطِيبُ ذَاكَ الْوَادِي

تُنْبِئْكَ أَلْسِنَةُ الصُّمُوتِ بِمَا جَرَى ... فِي الدَّهْرِ مِنْ عَدَمٍ وَمِنْ إِيجَادِ

أُمَمٌ خَلَتْ فَاسْتَعْجَمَتْ أَخْبَارُهَا ... حَتَّى غَدَتْ مَجْهُولَةَ الإِسْنَادِ

فَعَلامَ يَخْشَى الْمَرْءُ صَرْعَةَ يَوْمِهِ ... أَوَلَيْسَ أَنَّ حَيَاتَهُ لِنفَادِ

تَعَسَ امْرُؤٌ نَسِيَ الْمَعَادَ وَمَا دَرَى ... أَنَّ الْمَنُونَ إِلَيهِ بِالْمِرْصَادِ

فَاسْتَهْدِ يَا مَحْمُودُ رَبَّكَ وَالْتَمِسْ ... مِنْهُ الْمَعُونَةَ فَهْوَ نِعْمَ الْهَادِي

وَاسْأَلْهُ مَغْفِرَةً لِمَنْ حَلَّ الثَّرَى ... بِالأَمْسِ فَهْوَ مُجِيبُ كُلِّ مُنَادِي

هِـيَ مُهْجَـةٌ وَدَّعْتُ يَـوْمَ زِيَالِهَـا نَفْسِــي وَعِشْــتُ بِحَسْــرَةٍ وَبِعَــادِ

تَـاللهِ مـا جَفَّـتْ دُمُـوعِي بَعْـدَمَا ذَهَـبَ الـرَّدَى بِـكِ يَـا بْنَـةَ الأَمْجَـادِ

لا تَحْسَـبِينِي مِلْـتُ عَنْـكِ مَـعَ الْهَـوَى هَيْهَـاتَ مَــا تَـرْكُ الْوَفَــاءِ بِعَــادِي

قَدْ كِدْتُ أَقْضِـي حَسْـرَةً لَـوْ لَـمْ أَكُنْ متوَقِّعًــا لُقْيَــاكِ يَــوْمَ مَعَــادِي

فَعَلَيْـكِ مِـنْ قَلْبِـي التَّحِيَّـةُ كُلَّمَـا نَـاحــتْ مُطَوَّقَــةٌ عَلَــى الأَعْــوَادِ

****

وقال في حب مصر
بعد عودته من المنفى

أَبَابِلُ رَأْيَ الْعَيْنِ أَمْ هَذِهِ مِصْرُ ... فَـإِنِّي أَرَى فيهـا عُيُونًـا هِـيَ السِّـحْرُ؟

نَوَاعِسُ أَيْقَظْنَ الْهَوَى بِلَوَاحِظٍ ... تَـدِينُ لَهَـا بِالْفَتْكَـةِ الْبِيضُ وَالسُّـمْرُ

فَلَـيْسَ لِعَقْلٍ دُونَ سُلْطَانِهَا حِمًـى ... وَلا لِفُــؤَادٍ دُونَ غِشْــيَانِهَا سِــتْرُ

فَإِنْ يَكُ مُوسَـى أَبْطَلَ السِّحْرَ مَرَّةً ... فَذَلِكَ عَصْرُ الْمُعْجِزَاتِ وَذَا عَصْرُ

فَــأَيُّ فُـؤَادٍ لا يَـذُوبُ صَـبَابَةً ... وَمُزْنَـةِ عَيْنٍ لا يَصُـوبُ لَهَا قَطْـرُ

بِنَفْسِـي وَإِنْ عَزَّتْ عَلَـيَّ رَبِيبَـةٌ ... مِـنَ الْعِـينِ فـي أَجْفـانِ مُقْلَتِهَـا فَتْـرُ

فَتَـاةٌ يَـرِفُّ الْبَـدْرُ تَحْـتَ قِنَاعِهَا ... وَيَخْطِـرُ فِي أَبْرَادِهَا الْغُصْنُ النَّضْرُ

تُرْيكَ جُمَـانَ الْقَطْرِ فِـي أُقْحُوانَـةٍ ... مُفَلَّجَـةِ الأَطْـرَافِ قِيـلَ لَهَــا ثَغْـرُ

تَــدِينُ لِعَيْنَيْهَــا سَــوَاحِرُ بَابِــلٍ ... وَتَسْكَرُ مِنْ صَـهْبَاءِ رِيقَتِهَا الْخَمْرُ

فَيـا رَبَّـةَ الْخِـدْرِ الَّـذِي حَـالَ دُونَـهُ ... ضَـرَاغِمُ حَرْبٍ غَابُهَا الأَسَلُ السُّمْرُ

أَمَـا مِنْ وِصَـالٍ أَسْتَعِيذُ بِأُنْسِـهِ ... نَضَــارَةَ عَـيْشٍ كَـانَ أَفْسَـدَهُ الْهَجْـرُ

رَضِيتُ مِنَ الدُّنْيَا بِحُبِّكِ عَالِمًا ... بِـأَنَّ جُنُـونِي فِـي هَـوَاكِ هُـوَ الْفَخْـرُ

فَـلا تَحْسَبِي شَـوْقِي فُكَاهَـةَ مَـازِحٍ ... فَمَـا هُـوَ إِلا الْجَمْـرُ أَوْ دُونَـهُ الْجَمْـرُ

هَوًى كَضَمِيرِ الزَّنْدِ لَوْ أَنَّ مَدْمَعِي ... تَـأَخَّرَ عَـنْ سُـقْيَاهُ لاحْتَـرَقَ الصَّـدْرُ

إِذَا مَا أَتَيْتُ الْحَيَّ فَارَتْ بِغَيْظِهَا قُلُـوبُ رِجَـالٍ حَشْـوُ آماقِهَـا الْغَـدْرُ
يَظُنُّـونَ بِـي شـرًّا وَلَسْتُ بِأَهْلِـهِ وَظَـنُّ الْفَتَـى مِـنْ غَيْـرِ بَيِّنَـةٍ وِزْرُ
وَمَـاذَا عَلَـيْهِمْ إِنْ تَـرَنَّمَ شَـاعِرٌ بِقَافِيَـــةٍ لا عَيْـــبَ فِيهَـــا وَلا نُكْـــرُ
أَفِـي الْحـقِّ أَنْ تَبْكـي الْحَمَـائِمُ شَـجْوَها وَيُبْلَـى فَـلا يَبْكِـي عَلَـى نَفْسِـهِ حُـرُّ
وَأَيُّ نَكِيـرٍ فِـي هَـوًى شَـبَّ وَقْـدُهُ بِقَلْـبِ أَخِـي شَـوْقٍ فَبَـاحَ بِـهِ الشِّـعْرُ
فَـلا يَبْتَـدِرْنِي بِالْمَلَامَـةِ عَـاذِلٌ فَــإِنَّ الْهَــوَى فِيــهِ لِمُعْتَــذِرٍ عُــذْرُ
إِذَا لَمْ يَكُنْ لِلْحُبِّ فَضْلٌ عَلَى النُّهَى لَمَــا ذَلَّ حَــيٌّ لِلْهَــوَى وَلَــهُ قَــدْرُ
وَكَيْفَ أَسُومُ الْقَلْبَ صَبْرًا عَلَى الْهَوَى وَلَمْ يَبْقَ لِي فِي الْحُبِّ قَلْبٌ وَلا صَبْرُ
لِـيَهْنَ الْهَـوَى إِنِّـي خَضَـعْتُ لِحُكْمِـهِ وَإِنْ كَـانَ لِـي فِـي غَيْـرِهِ النَّهـيُ وَالأَمْـرُ
وَإِنِّي امْرُؤٌ تَـأْبَى لِـيَ الضَّـيْمَ صَـوْلَةٌ مَوَاقِعُهَــا فِــي كُــلِّ مُعْتَــرَكٍ حُمْــرُ
أَبِـيٌّ عَلَـى الْحِدْثَانِ لا يَسْتَفِزُّنِي عَظِيمٌ وَلا يَأْوِي إِلَـى سَاحَتِي ذُعْرُ
إِذَا صُلْتُ صَالَ الْمَوْتُ مِنْ وَكَرَاتِـهِ وَإِنْ قُلْتُ أَرْخَى مِنْ أَعِنَّتِهِ الشِّعْرُ

الحكمة في شعر البارودي

تحتل الحكمة مكاناً ملموسًا في شعر البارودي فلا تكاد تخلو أي قصيدة في ديوانه من الحكمة ، يضمنها ليؤكد فكرته أحيانا ، وأحيانا أخرى يوردها من باب النصح والإرشاد ولعل أسبابا كثيرة جعلته ينحو هذا المنحى من الإكثار منها في شعره فهو :

- ❖ كثير الخبرة ؛ عاش طويلا ، وعركته التجارب التي مر بها ، وتعامل مع شرائح كثيرة مختلفة من البشر ؛ منهم الصالح ومنهم الطالح والمخادع والمتلون .
- ❖ وسافر كثيرًا وارتحل بعيدًا عن الوطن ، وعاشر أقواما وجنسيات مختلفة في عاداتها وتقاليدها ، وحتى في عقيدتها ، وهذا كفيل أن يمده بزاد ثقافي واجتماعي .
- ❖ وخاض معارك وحروبا وعاش أحداثها وماكان فيها من نصر أو هزيمة ، فاكتسب من جرائها حنكة ودراية .
- ❖ أمور الحياة وتقلباتها وماكان من أحداث سياسية في مصر أمده بزاد موفور من البصر بتقلبات الدهر وتغير الأحوال .
- ❖ تأثره بالشعراء الفحول السابقين من أمثال المتنبي وزهير بن أبي سلمى وأبي العلاء المعري والشريف الرضي وغيره من كبار الشعراء .

- ❖ موهبة البارودي ، وطواعية اللغة والبيان له ، وامتلاكه ناصية القول والإبداع الفني .
- ❖ إجادته الفارسية والتركية واطلاعه على أدب هذه اللغات، فضلا عماالديه من مخزون ثقافي .

لهذا كله جرت الحكمة على لسانه وخطها بنانه، وضمنها في شعره وبيانه ، فصارت سمة من سمات شعره ، وميزة يمتاز بها قصيده .

وهذه طائفة من حكمه الخالدة : -

لَيْسَ السُّرُورُ الَّذِي يَأْتِي الزَّمَانُ بِهِ   يَفِي بقَدْرِ الَّذِي يَمضِي مِنَ الْحَزَنِ

فَاسْتَبْقِ نَفْسَكَ إِنْ كُنْتَ امْرَأً فَطِناً   وَاقْنَعْ بِعَيْشِكَ فِي سِرْبَالِكَ الْخَشِنِ

وَلا تفُهْ بِحَدِيثِ النَّفسِ إِنَّ بِهِ   شرَّ الْحَيَاةِ وَسَعْيَ الْحَاسِدِ الأَفِنِ

وَلا تَسَلْ أَحَداً عَوْناً عَلَى أَمَلٍ   حَتَّى تَكُونَ أَسِيرَ الشّكْرِ وَالْمِنَنِ

خَيْرُ الْمَعِيشَةِ مَا كَانَتْ مُذَلَّلَةً   هَوْناً وَثَوْبُكَ مَعْصُومٌ مِنَ الدَّرَنِ

وَعَاشِرِ النَّاسَ بِالْحُسْنَى فَإِنْ عَرَضَتْ   إِسَاءَةٌ فَتَغمَّدْهَا عَلَى الظِّنَنِ

فَالصَّفْحُ عَنْ بَعْضِ مَا يُمْنَى الْكَرِيمُ بِهِ   فَضْلٌ يَطِيرُ بِهِ شُكْرٌ بِلا ثَمَنِ

هَذَا الطَّرِيقُ فَإِنْ أَخْطَأْتَ شِرْعَتَهُ   أَضَعْتَ نَفْسَكَ بَيْنَ الْحَوْضِ وَالْعَطَنِ

وقال:

صَبَرْتُ عَلَى كُرْهٍ لِمَا قَدْ أَصَابَنِي   وَمَنْ لَمْ يَجِدْ مَنْدُوحَةً فَهْوَ صَابِرُ

وَمَـا الْحِلْمُ عِنْدَ الْخَطْـبِ وَالْمَـرْءُ عَـاجِزٌ بِمُسْتَحْسَـــنٍ كَـــالْحِلْمِ وَالْمَـــرْءُ قَـــادِرُ

وَلَكِنْ إِذَا قَلَّ النَّصِيرُ وَأَعْوَزَتْ دَوَاعِـي الْمُنـى فَالصَّـبْرُ فِيـهِ الْمَعَـاذِرُ

فَقَدْ يَسْتَقِيمُ الأَمْرُ بَعْدَ اعْوِجَاجِـهِ وَتَـنْهَضُ بِـالْمَرْءِ الْجُـدُودُ الْعَـوَاثِرُ

وَلِـي أَملٌ فِـي اللهِ تَحْيَـا بِـهِ الْمُنَـى وَيُشْـرِقُ وَجْـهُ الظَّنِّ وَالْخَطْبُ كَاشِـرُ

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَرْكَنْ إِلَـى اللهِ فِـي الَّذِي يُحَــاذِرُهُ مِــنْ دَهْــرِهِ فَهْــوَ خَاسِــرُ

وَإِنْ هُوَ لَمْ يَصْبِرْ عَلَـى مَا أَصَـابَهُ فَلَيْسَ لَهُ فِـي مَعْرِضِ الْحَقِّ نَاصِـرُ

وَمَنْ لَمْ يَذُقْ حُلْوَ الزَّمَـانِ وَمُرَّهُ فَمَــا هُــوَ إِلا طَــائِشُ اللُّــبِّ نَــافِرُ

وَمَا حَملَ السَّيْفَ الْكَمِيُّ لِزِينَـةٍ وَلَكِــنْ لأَمْــرٍ أَوْجَبَتْــهُ الْمفَــاخِرُ

إِذَا لَمْ يَكُنْ إِلا الْمَعِيشَـةَ مَطْلَـبٌ فَكُـلُّ زَهِيـدٍ يُمْسِـكُ الـنَّفْسَ جَـابرُ

فَلَوْلا الْعُـلا مَـا أَرْسَلَ السَّـهْمَ نَـازِعٌ وَلا شَــهَرَ السَّـيْفَ الْيَمَــانِيَّ شَــاهِرُ

مِنَ الْعَـارِ أَنْ يَرْضَـى الدَّنِيَّـةَ مَاجِدٌ وَيَقْبَلَ مَكْذُوبَ الْمُنَـى وَهْوَ صَـاغِرُ

عَلَـيَّ طِـلابُ الْعِزِّ مِنْ مُسْتَقَرِّهِ وَلا ذَنْـبَ لِـي إِنْ عَارَضَـتْنِي الْمَقَـادِرُ

فَـلا تَحْسَـبَنَّ الْمَـالَ يَنْفَـعُ رَبَّـهُ إِذَا هُـوَ لَـمْ تَحْمَـدْ قِـرَاهُ الْعَشَـائِرُ

فَقَدْ يَسْتَجِمُّ الْمَـالُ وَالْمَجْدُ غَائِـبٌ وَقدْ لا يَكُونُ الْمَالُ وَالْمَجْدُ حَاضِـرُ

وَلَـوْ أَنَّ أَسْبَابَ السِّيَادَةِ بِـالْغِنَى لَكَــاثَرَ رَبَّ الْفَضْـلِ بِالْمَـالِ تَــاجِرُ

فَلا غَرْوَ أَنْ حُزْتُ الْمَكَارِمَ عَارِيًا فَقَدْ يَشْـهَدُ السَّيْفُ الْـوَغَى وَهْوَ حَاسِـرُ

فَمَا الْفَقْرُإِنْ لَمْ يَدْنَسِ الْعِرْضُ فَاضِحٌ وَلا الْمَالُ إِنْ لَمْ يَشْرُفِ الْمَرْءُ سَاتِرُ
فَكَمْ بَطَلٍ فَلَّ الزَّمَانُ شَبَاتَهُ وَكَمْ سَيِّدٍ دَارتْ عَلَيهِ الدَّوائِرُ
وَأَيُّ حُسَامٍ لَمْ تُصِبْهُ كَلالَةٌ وَأَيُّ جَوَادٍ لَمْ تَخُنْهُ الْحَوَافِرُ
فَمَهْلا بَنِي الدُّنْيَا عَلَينَا فَإِنَّنَا إِلَى غَايَةٍ تَنفَتُّ فَيهَا الْمَرَائِرُ
تَطُولُ بِهَا الأَنْفَاسُ بُهْرًا وَتَلْتَوِي عَلَى فَلْكَةِ السَّاقَيْنِ فِيهَا الْمَآزِرُ
هُنَالِكَ يَعْلُو الْحَقُّ وَالْحَقُّ وَاضِحٌ وَيَسْفُلُ كَعْبُ الزُّورِ وَالزُّورُ عَاثِرُ
وَعَمَّا قَلِيلٍ يَنْتَهِي الأَمْرُ كُلُّهُ فَمَا أَوَّلٌ إلا وَيَتْلُوهُ آخِرُ

وقال:

أدهى المصائب غدر قبله ثقة وأقبح الظلم صد بعد إقبال
ولي من الشعر آيات مفصلة تلوح في وجنة الأيام كالخال
ينسى لها الفاقد المحزون لوعته ويهتدي بسناها كل قوَّال
فانظر لقولي تجد نفسي مصورة في صفحتيه فقولي خط تمثالي
ولا تغرنك في الدنيا مشاكلة بين الأنام فليس النبع كالضال
إن أبن آدم لولا عقله شبح مركب من عظام ذات أوصال

وقال:

أُطَالِبُ أَيَّامِي بمَا ليسَ عِنْدَها ... وَمنْ طَلَبَ الْمَعْدُومَ أَعْيَاهُ وُجْدُهُ

فَمَا كُلُّ حَيٍّ يَنْصُرُ الْقَوْلَ فِعْلُهُ ... وَلا كُلُّ خِلٍّ يَصْدُقُ النَّفْسَ وَعْدُهُ

وَأَصْعَبُ ما يَلْقَى الْفتَى فِي زَمَانِهِ ... صَحابَةُ مَنْ يَشْفِي مِنَ الدَّاءِ فَقْدُهُ

وَللنُّجْحِ أَسْبَابٌ إِذَا لَمْ يَفزْ بها ... لَبِيبٌ منَ الْفِتْيَانِ لَمْ يُورِ زَنْدُهُ

وَلكِنْ إِذَا لَمْ يُسْعِدِ الْمرْءَ جَدُّهُ ... عَلى سَعيِهِ لمْ يَبْلُغِ السّؤْلَ جِدُّهُ

وَمَا أَنَا بِالْمغْلُوبِ دُونَ مَرامِهِ ... وَلَكِنَّهُ قَدْ يَخْذُلُ الْمَرْءَ جَهْدُهُ

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَدْفَعْ يَدَ الْجَوْرِ إِنْ سَطَتْ ... عَلَيهِ، فَلَا يَأْسَفْ إِذَا ضَاعَ مَجْدُهُ

وَمَنْ ذَلَّ خَوْفَ الْمَوتِ كَانَتْ حَيَاتُهُ ... أضَرَّ عَلَيهِ مِنْ حِمامٍ يَؤُدُّهُ

وَأَقْتَلُ دَاءٍ رُؤْيَةُ الْعَينُ ظَالِمًا ... يُسِيءُ، وَيُتْلَى فِي الْمَحَافِلِ حَمْدُهُ

عَلامَ يَعِيشُ الْمَرْءُ فِي الدَّهْرِ خَامِلا ... أَيَفْرَحُ فِي الدُّنْيَا بِيَوم يَعُدُّهُ؟

يَرَى الضَّيْمَ يَغْشَاهُ فَيَلْتَذُّ وَقْعَهُ ... كَذِي جرَبٍ يَلْتَذُّ بِالْحَكِّ جِلْدُهُ

إِذَا الْمَرْءُ لَاقَى السَّيْلَ ثُمَّتَ لَمْ يَعُجْ ... إِلَى وَزَرٍ يَحْمِيهِ أَرْدَاهُ مَدُّهُ

عَفَاءٌ عَلَى الدُّنْيَا إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَعِشْ ... بِهَا بَطَلا يَحْمِي الْحَقِيقَةَ شَدُّهُ

مِنَ الْعَارِ أَنْ يَرْضَى الْفَتَى بِمَذَلَّةٍ ... وَفِي السّيفِ مَا يَكْفِي لِأَمْرٍ يُعِدُّهُ

وقال:

أُصَبِّرُ عَنْكِ النَّفْسَ وَهْيَ أَبِيَّةٌ — وَهَيْهَاتَ صَبْرُ الظَّامِئَاتِ عَنِ الْوِرْدِ

إِذَا الْقَلْبُ لَمْ يَنْصُرْكَ فِي كُلِّ مَوْطِنٍ — فَمَا السَّيْفُ إِلا آلَةٌ حَملُهَا إِدُّ

إِذَا كَانَ عُقْبَى كُلِّ شَيْءٍ وَإِنْ زَكَا — فَنَاءٌ فَمكْرُوهُ الْفَنَاءِ هُوَ الْخُلْدُ

وَتَخْلِيدُ ذِكْرِ الْمَرْءِ بَعْدَ وَفاتِهِ — حَيَاةٌ لَهُ لا مَوْتَ يَلْحَقُهَا بَعْدُ

فَفِيمَ يَخَافُ الْمَرْءُ سَوْرَةَ يَومِهِ — وَفِي غَدِهِ مَا لَيْسَ مِنْ وَقْعِهِ بُدُّ

وقال:

لا بُدَّ لِلضيقِ بَعدَ اليأسِ من فَرَجٍ — وكُلُّ داجِيةٍ يَوماً لإشراقِ

وقال:

لاَ يَطْمِسُ الْجَهْلُ مَا أَثْقَبْتُ مِنْ شرَفٍ — وكيفَ يحجبُ نورَ الجونةِ الدخنُ ؟

قدْ يرفعُ العلمُ أقواماً وَإنْ تربوا — وَيَخْفِضُ الْجَهْلُ أَقْوَاماً وَإِنْ خَزَنُوا

فَرُبَّ ميْتٍ لَهُ مِنْ فَضْلِهِ نَسَمٌ — وربَّ حيٍّ لهُ منْ جهلهِ كفنُ

فلا تغرنكَ أشباهٌ تمرُّ بها — هَيْهَاتَ، مَا كُلُّ طِرْفٍ سابِقٌ أَرِنُ

لَوْ كَانَ لِلْمَرْءِ حُكْمٌ فِي تَصَرُّفِهِ — لعاشَ حراً، وَ لمْ تعلقْ بهِ المحنُ

وأيُّ حيٍّ وَ إنْ طالتْ سلامتهُ — يبْقَى ؟ وَأَيُّ عَزِيزٍ لَيْسَ يمتَهَنُ

كَفَى بِحَرْبِ النَّوَى سَلماً نَجَوْتُ بِهِ ... وربَّ مخشـيةٍ فـي طيهـا أمـن

وكـلُّ شـيءٍ لـهُ بـدءٌ وعاقبـة ... وكيفَ يبقى على حدثانهِ الزمنُ ؟

وقال:

بقوةِ العلمِ تقوى شوكةُ الأممِ ... فَالْحُكْمُ في الدَّهْرِ مَنْسُوبٌ إِلَى الْقَلَمِ

كمْ بينَ ما تلفظُ الأسيافُ منْ علقٍ ... وَبَيْنَ مَا تَنْفثُ الأَقْلامُ مِنْ حِكَمِ

لَوْ أَنْصَفَ النَّاسُ كَانَ الفَضْلُ بَيْنَهمُ ... بقَطْـرَةٍ مِـنْ مِـدَادٍ، لاَ بِسَـفْكِ دَمِ

فاعكفْ علىَ العلمِ، تبلغْ شأوَ منزلة ... في الفضلِ محفوفةٍ بالعزِّ وَالكرمِ

فليسَ يجنى ثمارَ الفوزِ يانعةً ... منْ جنةِ العلمِ إلاَّ صادقُ الهممِ

لَوْ لَمْ يَكُنْ فِي الْمسَاعِي مَا يَبِينُ بِهِ ... سَبْقُ الرِّجَالِ، تَسَاوَى النَّاسُ في الْقِيَمِ

وَلِلْفَتَى مُهْلَةٌ فِي الدَّهْرِ، إنْ ذَهَبَتْ ... أَوْقَاتُهَا عَبَثاً، لَمْ يَخْلُ مِنْ نَدَمِ

لَوْلاَ مُدَاوَلَةُ الأَفْكَارِ مَا ظَهَرَتْ ... خَزَائِنُ الأَرْضِ بَيْنَ السَّهْلِ وَالْعَلَمِ

فَاسْتَيْقِظُوا يَا بَنِي الأَوْطَانِ، وانْتَصِبُوا ... للعلمِ ؛ فهوَ مدارُ العدلِ في الأممِ

فَرُبَّ ذِي ثَرْوَةٍ بِالْجَهْلِ مُحْتَقَرٍ ... وَربَّ ذي خلةٍ بالعلمِ محترم

وَأَسْعَدُ النَّاسِ مَنْ أَفْضَى إِلى أَمدٍ ... في الفضلِ ، وَ امتازَ بالعالي منَ اليمِ

لَوْلاَ الْفَضِيلَةُ لَمْ يَخْلُدْ لِذِي أَدَبٍ ... ذِكرٌ عَلَى الدَّهْرِ بَعدَ الْمَوْتِ وَالْعَدَمِ

فلينظـرِ المـرءُ فيمـا قـدمتْ يـده قَبْـلَ الْمَعَـادِ، فـإِنَّ الْعُمْـرَ لَـمْ يَـدُم

وقال:

لاَ تَحْسَـبَنَّ الْعَـيْشَ دَامَ لِمتْـرَفٍ هَيْهَـاتَ، لَـيْسَ عَلَـى الزَّمَـانِ دَوَامُ

تـأتي الشـهورُ، وَتنتهـي سـاعاتها لَمْـعَ السَّـرَابِ، وَتَنْقَضِـي الأَعْـوَامُ

وَالنَّـــاسُ فِيمَـــا بَـــيْنَ ذَلِـــكَ وَارِدٌ أَوْ صَـــادِرٌ، تَجْـــرِي بِـــهِ الأَيّـــامُ

وَاعلَـمْ بـأنَّ المـرءَ لـيسَ بخالـدِ والـــدهرُ فيـــهِ صـــحةٌ وَ ســـقامُ

وقال:

دَعِ الـذُّلَّ فـي الـدُّنْيَا لِمـنْ خَـافَ حَتْفـهُ فَلَلْمَـوْتُ خَيْـرٌ مِـنْ حيَـاة عَلَـى أَذَى

ولا تصـطحِب إلاَّ امـرأً إن دَعوتَـهُ لَدَى جَمَرَاتِ الْحَرْبِ، لَبَّاكَ وَاحْتَذَى

إذا مـا رأيتُ الشَّـئَ فـى غيـرِ أهلـهِ ولَم أستَطع رداً طرفتُ على قذى

وقال:

قَلِيـلٌ مَـنْ يَـدُومُ عَلَـى الْـوِدَادِ فـــلا تَحفَـــل بِقـــربٍ أو بِعـــادِ

إِذَا كَـــانَ التَّغَيُّـــرُ فـــي اللَّيَـــالِي فَكَيْـــفَ يَـــدُومُ وُدٌّ فـــي فُـــؤَادِ؟

وَمـنْ لَـكَ أَنْ تَـرَى قَلْبـاً نَقِيًّـا ولمَّـــا يَخــلُ قلـــبٌ مِـــن ســـوادِ ؟

فــلا تَبــذل هــواكَ إلــى خليــلٍ تَظُـــنُّ بِـــهِ الْوَفَـــاءَ، وَلاَ تُعَـــادِ

وَكُـنْ مُتَوَسِّـطاً فـي كُـلِّ حَـالٍ لِتـــأمنَ مـــا تخـــافُ مِـــنَ العِنـــادِ

مُـدَارَاةُ الرِّجَــالِ أَخَــفُّ وَطْئــاً على الإنسـانِ مِـن حَـربِ الفسـادِ

يَعِـيشُ الْمَـرْءُ مَحْبُوبــاً إِذَا مــا نَحــا فــى سَــيرِهِ قَصــدَ السَّــدادِ

وما الدُّنيا سوى عَجزٍو حِرصٍ هُمَا أَصْلُ الْخَلِيقَةِ في الْعِبَادِ وَلَـوْلاَ

فَلَوْلاَ الْعَجْزُ مَا كَانَ التَّصَـافِي الْحِــرْصُ مــا كَــانَ التَّعَــادِي

ومــا عقَــدَ الرِّجــالُ الــوُدَّ إلاَّ لِنَفــعٍ ، أو لِمنـــعٍ مِـــن تعـــادى

ومــا كــانَ العِـداءُ يَخـفُّ لـولا أذَى السُّــلطان أو خَــوفُ المَعــادَ

حَيَــاةُ الْمَـرْءِ فــي الــدُّنْيَا خَيَــالٌ وَعَاقِبَـــةُ الأُمُـــورِ إِلَـــى نَفَـــاد

وقال:

لـيس الصـديق الـذي تعلـو مناسبه بـل الصـديق الـذي تزكـو شـمائله

إذا سـتر الفقـر امـرأ ذا نباهـة فلابـد يومـا أن يشـيد بـه الفضـل

فـإن لهيـب النـار مهمـا كفأتـه إلــى أسـفل قسـرا فلابـد أن يعلـو

ألا إن أخـلاق الرجـال وإن نمت فأربعـة منهـا تفـوق علـى الكـل

وقار بـلا كبر وصفح بـلا أذى وجــود بــلا مــن وحلـم بــلا ذل

وقال:

فإيــاك والــدنيا فــإن نعيمهــا يــزول وملبـوس الجديـدين يخلـق

فـإن هـي أعطتـك الليـان فإنهـا ستخشـن مـن بعـد الليـان وتخـرق

فلاودهـا يبقـى ولاصـفو عيشـها يــــدوم ولاموعودهـــا يتحقـــق

وقال:

لايدرك الغاية القصوى سوى رجل ثبت العزيمة ماض حيث ينخرط

إن مسه الضيم ناجى السيف منتصرا أو همه الأمر لم يعلق به الثبط

فاقذف بنفسك في أقصى مطالبها إن النجاح بسعي المرء مرتبط

قد يظفر الفاتك الألوى بحاجته وليس يدركها الهيابة الخلط

بادر الفرصة واحذر فوتها فبلوغ العز في نيل الفرص

المصادر والمراجع للتوسّع

١- جرجـي زيـدان، تـاريخ آداب اللغـة العربيـة، منشـورات دار المكتبة الحياة .

٢- د.عمر فروخ ، تاريخ الأدب العربي، دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة، أكتوبر ١٩٨٩م.

٣ - د. جـودت الركـابي، الأدب العربـي مـن الانحـدار إلـى الازدهار، دار الفكر.

٤- شـوقي ضـيف، تـاريخ الأدب العربـي، عصـر الـدول والإمارات، الشام، ج ٦ دار المعارف، مصر.

٥- ديوان البارودي، تحقيق علـي الجارم وممحد معروف، دار العودة، بيروت، لبنان (د،ط)، ١٩٩٢.

٦- شـيخ أمـين، بكـري، مطالعـات فـي الشـعر المملـوكي والعثماني، دار الشروق، بيروت ١٩٧٢م.



المؤلف

دكتور / نعمان عبد السميع متولي

دكتوراه في الأدب العربي

صدر للمؤلف :

١- البلاغة المعاصرة

٢- النحو المعاصر

٣- التناص اللغوي

٤- الانزياح اللغوي

٥- المفارقة اللغوية

٦- المقاربة النصية

٧- ثنائية البلاغة والأسلوب

٨- مكونات الجملة والأسلوب

٩- في مدارات النقد الأدبي

١٠- إيقاع الشعر العربي

١١- الأساس في قواعد الإملاء

١٢- صلاح جاهين شيخ الزجالين

١٣- القراءة والتلقي

١٤- موسوعة الشعر العربي (٦أجزاء)

١٥- موسوعة الخط العربي (٣ أجزاء)
١٦- المرشد المعاصر إلى طرائق التدريس
١٧- معالم النص الإليكتروني
١٨- متفرقات في النحو
١٩- الخطاب الشعري
٢٠- الأساس في الضبط والإعراب
٢١- الأمثال العربية بين الفصحى والعامية
٢٢- سبحات الفكر (ديوان شعر)
٢٣- قليل من البوح (ديوان شعر)
٢٤- روائع الحصاد من لغة الضاد
٢٥- أفاويق التورية، حلية الكلام ومتعة الأفهام
٢٦- المناهج الدراسية
٢٧- التشكيل الدرامي في الأدب العربي
٢٨- قبس من الذكريات
٢٩- أصول التربية في القرآن الكريم
٣٠- تجليات التجربة الشعرية